الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

- مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدّراسات الأدبية

أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله

مذكرة تخرج مقدّمة لنيل شهادة الماستر

تخصص : أدب حديث ومعاصر

إعداد الطّالبة :

كسار منصورية

إشراف الأستاذة :

د. قطاي حليمة

الأستاذ (ة)	الرّتبة	الصّفة
بوقرط طيب	أستاذ التّعليم العلي	رئيسا
قطاي حليمة	أستاذة التّعليم العالي	مشرفا ومقررا
لحسن رضوان	أستاذ التّعليم العالي	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية : 2023 - 2024

شكر وتقدير

الشّكر لله سبحانه و تعالى على فيض عطائه و على جزيل نعمه وتوفيقه لإنجاز هذا العمل و إتمامه.

أتقدم بخالص الشكر و التقدير للأستاذة المشرفة " قطاي حليمة ". التي لم تبخل علي بإرشاداتها و نصائحها ، فبارك الله فيها و جزاها كل خير .

كما أتوجه بالشكر إلى كل زملاء الدراسة و عمال المكتبة .

و الشكر موصول إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل .

إهداء

بكثير من الفخر و الاعتزاز أهدي ثمرة جهدي و علمي هذا إلى الوالدين حفظهما الله و إلى كل من أعانني من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا العمل المتواضع .

إلى صديقتي " **نعيمة** " رحمها الله و أسكنها فسيح جنانه.

و إلى أستاذتي المشرفة " **قطاي حليمة** " التي استفدت كثيرا من ملاحظاتها و توجيهاتها و التي أشكرها جزيل الشكر و إلى كل طالب علم يسعى للمعرفة

منصورية

مـــــــــــــقدّمة

خلق الله تعالى الإنسان محبا للحركة والتنقل، وقد عرف منذ القدم بحبه وشغفه للرحلة والترحال، فقد قيل : ولد الإنسان رحالا، وذلك بما استدعته الحاجة للبحث عن الظروف المعيشية الملائمة له، وقد استطاع أن يفكر في جوانب أخرى لتلك الرحلات التي كان يقوم بها. فقد أضحى متطلعا إلى اكتشاف المجهول وما تحمله من أماكن وخيرات وكنوز، والرغبة في اكتشاف العالم ومعرفة عاداته وتقاليده وأخلاقه. وهذا التفكير في ذهنه طرح عدة أسئلة واستفسارات دفعته إلى ولادة فن جديد من الفنون الأدبية ألا وهو " أدب الرحلة"، أي ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، أو بمعنى آخر عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز وفي لغة خاصة ومن خلال بناء فني له ملامحه وسماته الخاصة. إذ أن الرحلات كانت من دعائم الفكر العربي في العصور السالفة ولا زالت قائمة إلى يومنا هذا، واحتلت الرحلة في الأدب الحديث قيمة أدبية، إذ أصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظم بلاد العالم، وبالإضافة فإن الرحلة تنبعث من الوصف الطريف للواقع والسرد الفني للمغامرة الإنسانية والعواطف المحركة للبشر، إذ أنها اخترقت الحواجز بين مختلف الأقوام والشعوب، فهي سر وحدة الناس خاصة وفي زمن انعدمت فيه وسائل الاتصال.

وعليه فإن أبا قاسم سعد الله ضمن هذا السياق نقل لنا بعض القضايا الأدبية والتاريخية في كتابه (تجارب في الأدب والرحلة) ومنها رحلتي إلى المغرب، فه ويعد من الشخصيات التي أقرت هذا الفن النثري في المغرب العربي وحملت رايته، بحيث كانت له تجارب في هذا المضمار. لهذا كان موضوع بحثي " أدب الرّحلة عند أبي القاسم سعد الله.

ومن الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع: أهمية الأدب الرّحلي في الدراسات النقدية والأدبية وإبراز جهود النقاد والأدباء في هذا الميدان ومن بينهم المفكر والمؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله.

وعلى هذا الأساس يتناول البحث إشكالية أدب الرحلة وهي كالأتي :

- ما أهم خصائص الأدب والرحلة ؟
- وما هي أنواعه ؟
- وما قيمته في الأدب العربي ؟
- وهل حقق السرد الرحلي عند أبي القاسم سعد الله قيما فنية جمالية ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها اعتمدت خطة بحث شملت مقدمة وفصلين وخاتمة.

أمّا الفصل الأوّل فشمل دراسة نظرية حول أدب الرحلة، عرضت في المبحث الأوّل الرحلة (مفهومها، دوافعها، وأنواعها...) أما المبحث الثاني فدرست فيه أدب الرحلة من حيث (التعريف والنّشأة).

أما الفصل الثاني فمحور الدراسة فيه: دراسة من الواقعي إلى الفني الجمالي لرحلة أبي القاسم، وقسمته إلى مبحثين ؛ المبحث الأول خصصته فيما يتعلق بالرحالة وأهم ما جاء في رحلته إلى المغرب، أمّا المبحث الثاني فدرست فيه خصائص السرد في "رحلتي إلى المغرب"؛ وما يتعلق بأحداثها وشخصياتها، وفضائها الزماني والمكاني، والوصف ومدى تفاعل هذه العناصر في بناء الرحلة كفن وأدب.

وأخيرا جمعت في الخاتمة أهم الاستنتاجات المستخلصة من هذا البحث.

ولنجاح هذه الخطة والإلمام بجوانب هذه الدّراسة اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، والذي يقوم بتحليل ظاهرة والوقوف على أسبابها ومكوناتها، ومثل ذلك عرض وتحليل بعض أحداث الرحلة، بالإضافة إلى التمثل ببعض الإجراءات السردية كدراسة عناصر السرد ولغة الوصف.

ولقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع أهمها :

- ❖ الكتاب المصدر وهو تجارب في أدب الرحلة.

أمّا المراجع فهي كثيرة من بينها :

- ❖ أدب الرحلة في التراث الأدبي لفؤاد قنديل.
- ❖ منشورات كتب الرحلة قديما وحديثا لسيد حامد النساج.
- ❖ أدب الرحلة لحسين نصار.

وطبيعة كل بحث لا تخل ومن الصعوبات والعراقيل التي تعترض سبل الباحث منها ضيق الوقت، وقلّة الدراسات التي تناولت موضوع أدب الرحلة عند الجزائريين تاريخا وتحليلا ونقدا، ومع ذلك استطعت الحصول على أهم ما كتب أبي قاسم سعد الله في هذا الموضوع مما سمح لي بإنجاز هذا العمل وإتمامه

وأخيرا وقبل ختام هذه المقدمة آمل أن أكون قد وفقت في أداء الأمانة العلمية المفروضة على مثل هذه البحوث، شاكرة أستاذتي المشرفة التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ورعايتها لهذا البحث، ويشهد الله أني ما ادخرت جهدا إلا وبذلته خدمة لهذا البحث العلمي وأهدافه النبيلة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأوّل : الرّحلة العربية و أدب الرّحلات

❖ **المبحث الأوّل : الرّحلة من الواقعي إلى الجمالي الفني .**

1- نشاط الرّحلة (سفرا و أدبا وتخييلا)

2- الرّحلة في القرآن الكريم و السّنة النّبوية المطهرة

3- دوافع الرّحلة .

4- أنواع الرّحلات في الأدب.

5- أسباب تدوين الرّحلة .

❖ **المبحث الثّاني : أدب الرّحلة (النّشأة و المفهوم)**

1- مفهوم أدب الرّحلة.

2- نشأة أدب الرّحلة و تطوره. .

3- قيم أدب الرحلة.

4- خصائص النّص السّردي الرّحلي.

5- أشهر الرحالة و الرحلات في الأدب.

I. الرحلة من الواقعيّ إلى الجمالي الفنّي

أوّلا : نشاط الرحلة(سفرا وأدبا وتخييلا) :

أ- لغة :

تكاد تتكرر معاني كلمة رحلة في كافة الموسوعات اللغوية العربية وهي التي تعني انتقال شخص أو أشخاص من مكان إلى آخر. وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة، وإذا استعنا بالقواميس التراثية، سنجد أن مادة " رحل " تتوزع كالآتي :

في معجم مقاييس اللغة لابن فارس :"رحل" : الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على المضي في السفر، يقال : رَحَلَ: يرحل رحلة : الارتحال، ورحَلَّه، إذا أضعنه من مكانه [1]، أمّا في لسان العرب نجد :" رحل الرجل إذا سار ورحل رحُول وقوم رُحّل، أي يرتحلون كثيرا، ورحل رحال : عالم بذلك ومجيد له، والترحل والارتحال : الانتقال، والرحلة : رسم للارتحال. كما تنطبق على البعير. " رحل البعير رحلا "، فهو مرحول ورحيل. [2]

كما نجدها في القاموس المحيط : ارتحل البعير : سار ومضي، والقوم عن المكان : انتقلوا. كترحلوا، والاسم الرِّحلة : والرُّحلة. بالضم والكسر الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة. [3]

---

[1] أبو الحسن بن أحمد الفارس ، بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح . شهاب الدين بن عمروا ، دار الفكر بيروت ،2005م ، ص446

[2] ابن منظور الأنصاري الافريقي المصري ، لسان العرب ، تح : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ،2005 ، ص 370 - 372

[3] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ضبط و توثيق ، يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر ، بيروت ،2008، 904

فمعاجم اللغة تجمع على أن الرحلة هي انتقال من مكان إلى مكان آخر، وهو ما يفسر أن الرحلة فعل إنساني مرتبط به، لطبيعة بشرية وموضعية.

ب- اصطلاحا :

لا يبتعد مفهوم الرّحلة اصطلاحا عن مفهوم اللغة، إذ يشتركان في السمة اللازمة اللصيقة بفعل الارتحال، وهي الحركة والتنقل الذي يقوم به الرحالة من مكان لآخر لمقاصد مختلفة وأسباب متنوعة، وكذلك لا يختلفان من حيث الدلالة حيث نجد أنها " جاءت بمعنى سيرة الانتقال والوجهة، أو المقصد الذي يراد السفر إليه. وبمعنى دن والمكان المراد الوصول إليه أو اقتراب وقت الرحيل. ولهذا كانت لفظة رحل تطلق عن من انتقل من مكان إلى آخر ومنه أخذ لفظة [الرحّال] وهو الشخص المتنقل من مكان إلى آخر. "[1]

وكذلك تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنها تصب في قالب واحد، فقد عرفها الإمام الغزالي " بأنها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة. "[2] جاعلا الرحلة عابرا عن احتكاك بالآخر بعد جهد وتعب ناتجان عن الانتقال على الرغم من أنه ل ويذكر ذلك، لأنه لا بد أن تكون الرحلة انتقال وحركة حتى تكون هناك مخالطة.

[1] خير الدين شترة ، المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونيسية ، دار كردادة للنشر و التوزيع ، ط 5 ،2013 ، ص 344

[2] أبو حامد أحمد بن أحمد الغزالي ، إحياء علوم الدين .الغزالي ،ج2 ، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت 1986م ، 273

والرحلة هي أحداث سفرة عاشها وشاهدها الرحال، ويتطلب منه أن يكون ذا مستوى ثقافي معين لنقل أحداث سفرة وتدوينها [1]، كما أنها نقلة في المكان والزمان، وسفر داخلي في فكر صاحبها ومن عارفه، وموقفه من الحياة والوجود ونظرته إلى الناس والمجتمع. [2]

والمراد من هذا القول أن الرحلة انتقال من مكان إلى مكان آخر، ومن زمان إلى آخر، وأن هناك انتقال آخر هو السفر في الفكر والمعرفة لصاحب هذه الرحلة، ويجب على الرحالة أن يكون ذا مستوى ثقافي لكي يكون مؤهلا لنقل وحكي أحداث سفره، وما عاشه وما شاهده من أحداث.

وكذلك نجد" شعيب حنيفي " يعرفها بقوله " أن الرحلة أعم من السفر وذلك بالانتقال من مكان إلى مكان آخر والاستعانة بمجموعة من اللوازم من بينها الراحلة وغيرها "[3] والمراد من قوله أن الرحلة أعم وأشمل من السفر، لأن في السفر تقطع مسافات معينة ومحددة، أما في الرحلة فتقطع مسافات كبيرة لأن الرحلة انتقال من مكان إلى آخر، مهما كان المكان والزمان، ومهما كان الدافع والغرض، أو بعبارة أخرى " تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ماديا أو معنويا. أما الحركة بقطع المسافات فهي السفر وجمعه : أسفار".

أما فؤاد قنديل فيعتبرها " سلوكَ إنسان حضاري يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة

---

[1] جميلة رباش ، أدب الرحلة في المغرب العربي ، أطروحة الدكتوراه ، جامعة بسكرة 2015م ، ص 08

[2] المرجع نفسه ، ص (ب)

[3] شعيب حنفي ، الرحلة في الأدب العربي ، التجنس ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيل ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ،2006م ص52

بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها. "[1] يوضح من ذلك أن الرحلة سلوك يولد مع الإنسان، فإنه منذ بدايته الأولى مولع بالرحلة والتنقل على أرض الواقع كونه مبحثا للاكتشاف والاستطلاع والمغامرة. بل اتخذها هواية تشبع حاجاته وترضيه، وإن لم تتح الفرصة له ذلك تخيل رحلات في عالم الخيال. وهذا ما أكد عليه قول" شوقي ضيف " : " الإنسان ولد رحالا، وإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال ".[2]

كما يبين لنا أن الشخص الذي يمارس الرحلة تنقلا ومشقة وسفرا أفضل من حيث المعرفة، من الشخص الذي يبقى في مكانه لا يتحرك، وفي هذا الصدد قد أشار المسعودي بقوله " ليس من لزم وجمعه وطنه وقنع بما نمي إليه من أخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأمتار، وزرع أيامه بين تفاذق الأشعار".[3]

وهنا بين لنا المسعودي الفروق الموجودة بين الشخص الرحال والشخص الماكث في مكانه.

وكذلك يعرفها البعض أنها مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يعترض فيها لوصف ما يراه من عادات

---

[1] فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط12،2002 ،ص21

[2] شوقي ضيف ، الرحلات ، أدب الرحلة في التراث العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،ط4،(د.ت) ، ص07

[3] المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب و معادن الجوهر ،ج1، تقديم محمد السودي ،موقع للنشر ، د.ط ، الجزائر ، 1989، ص 03

وسلوك، وأخلاق، لتسجيل دقيق المناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته أو يجمع بين كل هذا في آن واحد. "[1]

وهنا تتجسد وظيفتها الأساسية في رصد العادات وتقاليد السكان ووصف المناظر الطبيعية التي يشاهدها وكل ما يصفه من أمور وعادية أم غريبة.

وخلاصة القول من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي تبين لنا أن الرحلة فن من الفنون الأدبية، فقد اختلف الأدباء والباحثون في تحديد مفهوم لها. وفي هذا السياق يقول عيسى بختي في المفهوم الاصطلاحي لكلمة رحلة أن لا شك أن تعريفها متعذر الضبط، نظرا لاعتبارات عدة ".[2] لذا لا يستغني ذكر جميع هذه التعريفات، ولقد اكتفت بالبعض منها، وكلها تصب في معنى واحد ألا وهو الحركة والتنقل. وهذه الحركة هي عصب الحياة وروحها.

وقد تدل على حياة الإنسان فوق الأرض، وتدل أيضا على مخالطة شعوب واكتساب ثقافاتهم، وفي هذا الصدد يقول صالح الدين الشامي " الرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض. "[3]

وكذلك الرحلة تجمع بين شقين في المعنى الشق الأول وهو عون الرحلة وانتقال وحركة، والشق الثاني من المعنى فه ونثر وخطاب وتأليف أدبي.

---

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة في المشرق الجزائري ، دراسة النشأة و التطور و البنية ، دار الهدى ، عين ميلة ، الجزائر ، د.ط ، ص 31

[2] عيسى بختي ، الأدب الجزائري الحديث ،مكونات السرد ، دار الهومة للطباعة و النشر ، الجزائر ،2014 ،ص 16.

[3] صلاح الدين علي الشامي ، الرحلة عبر الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي و الدراسات الميدانية ، منشأ المعارف ، ط 2 .1999م، ص 07

ثانيا : الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المطهرة

أ- في القرآن الكريم :

ارتبطت الرحلة بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور. فأول رحلة قام بها تكمن في تلك التي ساقته من بساتين الجنة إلى الأرض مصداقا لقوله تعالى في سورة البقرة { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا } سورة البقرة، الأية -38-، ففطر على الرحلة والسفر طلبا للزرق والمعرفة منذ ذلك التاريخ. ومن ثوابت وجود واستمرارية الرحلة أدلة جمة منها : رحلات الرسل والأنبياء. ..[1]

ومن بينها رحلة الإسراء والمعراج :

قال تعالى { **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ اَلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ البَصِيرُ** } سورة الإسراء، آية –1-. [2]

إن حادثة الإسراء ثابتة متواترة منذ حدوثها، فقد سيره سبحانه وتعالى، ليلا إلى المسجد الأقصى، وسمى المسجد الأقصى لبعده عن المسجد الحرام، فه ولا يبلغ إلا برحلة وراحلة.

وقال المفسرون إنما قال ليلا بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسراء، وإنه قطع به المسافات الشائعة البعيدة في جزء من الليل، وكانت مستمرة أربعين ليلة. [3]

[1] سورة البقرة ، الآية 38

[2] د.لخضر حشلافي ، المرحلة المغربية ، قضايا و ظواهر ، دار الضحى للنشر و الاستثمار ، الجزائر ، ط1 ،2017 م ،ص 300

[3] القرطبي ، جامع الأحكام القرآن ،ج1، دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ص 204 - 212

ولقد عرف العرب السفر ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية إلى بلدان أخرى، واشتهروا برحلة الشتاء والصيف ورد ذكرهما في القرآن الكريم صيفا إلى الشام وشتاءا إلى اليمن لقوله تعالى { **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَا فِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ (2)فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ** جُوعٍ و**ءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفِ** (3)}[1] وورد لفظ [الرحلة] في القرآن مرة واحدة.

وكما شاهدت الحضارة الإسلامية في مراحل ازدهارها رحلات متنوعة ومختلفة، تحمس الكثيرون سفر سواء للحج أو طلب العلم أو التجوال.

أمّا **الرحلة للحج** : فه ومن الفرائض مقرون بالاستعانة ولكن السعي لأدائه أمر عظيم، لقوله تعالى { **وأَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُونَكَ رِجَالًا وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}**. "[2]

فالدعوة إلى الحج قديمة منذ أن بنى إبراهيم الخليل الكعبة، واستمر حتى في أيام العرب الجاهلية ولكن الطريق تختلف، ومما كمان يرغبهم فيه الأسواق التي كانت تقام فيه، وقد ارتحل أغلب العلماء من مختلف أصقاع الدولة الإسلامية لأداء فريضة الحج، وبما أن وسائل السفر كانت تقليدية فقد استفاد هؤلاء الرحالة من سفرهم هذا، حيث أنهم زاروا أماكن كثيرة على طول طريقهم ونهلوا ما استطاعوا من العلوم التي توفرت بين أيديهم.

أمّا الرحلة لطلب العلم فقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة، وكلها تحت طلب العلم والاجتهاد فيه، وقد ضرب المولى عز وجل مثلا من أروع الأمثلة في طلب العلم برحلة موسى مع الخضر عليهما السلام، ليتعلم منه في بضع آيات **من**

[1] سورة قريش الآية 1.2.3.4

[2] سورة الحج : الآية 27

سورة الكهف **{...قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) كَيْفَ تَصْبِرَ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا ولَا أَعْصِى لَكَ أُمْرًا (69)قَالَ** فَإِنِ **اِتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** (70) [1]. فالرغبة في طلب العلم تكون بالرحلة الطويلة وتحمل المشاق والمعاناة، وتتطلب بحثا متواصلا ونفسا طويلة وعزيمة قوية، فسيدنا موسى عليه السلام، بالرغم من رفعة مكانته، وبلوغه تلك المرتبة العالية عز وجل إلا أنه رحل إلى مكان بعيد لطلب العلم.

وبالإضافة إلى ذلك برزت الرحلة عندما ظهر الإسلام وأطل على الجزيرة العربية نوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض، نذكر من ذلك قوله تعالى :

{ قَالَ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثم انْظُرُوْا كَيْف كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ}[2]

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ }[3]

وجاَءت كلمة السير هنا بمعنى الرحلة، الرحلة لأجل العبرة والتفكير في زمن سبق من الأمم السائدة.

قال تعالى { هو **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِنَ رِّزْقِه وإِلَيْهِ النُّشُورُ}**[4]

---

[1] سورة الكهف الآية [66] إلى [70]

[2] سورة الأنعام – الآية [15]

[3] سورة يوسف الآية [109]

[4] سورة الملك الآية – 15 -

والرحلة هنا جاءت بمعنى المشي، أي أن الله قد هيّأ لنا ما في هذه الدنيا من السبل في البر والبحر، من أجل طلب طلب الرزق.

وترد كلمة " فلك " في عدة آيات بما يدل على أن العرب كانوا على علم بها لأنهم صنفوا السفن وأنجزوا وتاجروا فاصطادوا من خيرات البحر مرتحلين.

لقوله تعالى { **رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِى لَكُمُ الفُلْكَ في البَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** }[1]

وقال أيضا {وسَخَّرَ **لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِي في البَحْرِ بِأَمْرِهِ وسَخَّرَ لَكُمُ الأنْهَارَ** }[2]

وقال أيضا { **إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ والفُلْكِ التي تَجْرِي في البَحْرِ بمَا يَنْفَعُ النَّاسُ** }[3]

وهكذا توجه الله عز وجل بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض والسير في البر وركوب الفلك وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيدا، وكذلك كانت تلك الدعوات تشجيعا لهم على تحمل مشاق السفر.

[1] سورة الإسراء - الآية 66

[2] سورة إبراهيم ، الآية- 32-

[3] سورة البقرة الآية 164

ب- الرحلة في السنة النبوية :

ورد في السيرة النبوية أحاديث تحث على السفر والارتحال منها قوله صلى الله عليه وسلم **" سَافِرُوا تَغْنَمُوا وصُومُوا تصِحُوا ".** [1]

وقال أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه، والمسجد الأقصى".

والحديث فيه إرشاد وتحبيب لفعل الرحلة خاصة هذه الأماكن والمساجد.

كما ورد في السنة النبوية الشريفة أحاديث تؤكد على الرحلة كطلب العلم وسعيا وأراء العلماء وانتفاع من علومهم.

يقول صلى الله عليه وسلم { **من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا إلاَّ سهل به طريقًا إلى الجنةِ. "**[2] فالرحالة غالبا ما يتحمل مشقة السفر والرحلة رغبة في نيل الأجر والثواب.

وقال أيضا { عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها...} فالدعوة هنا إلى ممارسة نشاط الرحلة بهجرة الديار الأولى والارتحال.

هذه بعض الأحاديث النبوية التي دعا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرحلة والسفر، حيث بين فيها بعض الفوائد التي تقدمها للفرد والمجتمع.

---

[1] أبو منصور الثعالبي – زاد سفر الملوك في سفر و مدحه و ذمه و محاسن الأخلاق فيه ، تح: رمزي بعلبي ،وجلال الأرفة ، المعهد الألباني للأبحاث الشريفة ، بيروت 2011م ، ص 05

[2] أبو بخاري ، صحيح بخاري ، دار صادر بيروت ،ط1، 1425ه/2014م ، مج1، ص 209 رقم :ح [1189]

ج- الرحلة في الشعر العربي :

قال الإمام الشافعي :

سافر تجد عوضا عتمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وفوق الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

والشمس لو وقعت في الفلك دائمة لما لها الناس من عجم ومن عرب[1]

يرى الإمام الشافعي أن للرحلة فوائد عديدة لإنسان بحيث تعوضه عن المكان الذي كان يعيش فيه، حيث ينصحه بالنصب، فإن لذيذ العيش في النصب ويضرب له مثلا بالماء والشمس فإن توقف فسد وإن سال وجرى طاب، والشمس إن وقفت في الفلك دائما لملها الناس، وهكذا حال الإنسان إن لم يرتحل ويسافر. لأن الإنسان له إمكانية أكثر ما سبق في التاريخ في الترحل والاكتشاف والتنفيس عن همومه أو لأغراض الأخرى التجارة لطلب العلم من مكان لمكان لغرض ما وذلك لأنه يريد التعرف على ما يدور حوله من الأشياء المتنوعة والأماكن المختلفة.

وقال أبو تمام :

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديبا حبه، فاغترب تتحدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليس عليهم بسرمد

فللموت خير للفتى من مقامه بدار هوت بين ضد وحاسد

[1] الإمام الشافعي –ديوان الإمام الشافعي ، تح ، إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،د.ط ،2013،ص 53

فأبو تمام هنا يوجه الناس إلى جمال ما في الرحلة والسفر من تجدد [1]، التماسا للمعيشة والعلم والآداب.

مما سبق ذكره في هذه النصوص، يبد وأن لكل رؤيته حول قيمة السفر وفائدته، وتدل على أن الناس آمنوا إيمانا عميقا بالفوائد الجمّة التي تمنحها الرحلات للقائمين بها.

ثالثا : دوافع الرحلة :

1. دوافع الضرورة :

تعد الضرورة من الدوافع الحتمية التي تدفع الرحالة إلى القيام بهذا النشاط، خاصة إذا تعرض " لعارض يدفعه لهجرة وطن فيغادره، بحثا عن الكلأ والماء، وهربا من مصيبة كظلم حاكم أو أمير، أو يأسا من المجتمع وما قد حل به من حروب ونزعات محلية، وظروف اجتماعية قاسية وويلات ونكبات[2] " فكانت الرحلة إحدى الطرق الضرورية التي استخدمها الإنسان لنفسه.

2. الدافع الديني :

كأن يرتحل للحج إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة، وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة ومن قبل ذلك التيسر بالدين أو زيارة المقابر، [3] إذن هي رحلة تعدية لأداء فريضة الحج الواجبة على كل مسلم ومسلمة، لمن استطاع إليه سبيلا.

---

[1] حسين نصار ، أدب الرحلة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، بونجمان ،ط1/1991م ، ص16.

[2] نوال عبد الرحمان الشواكة – أدب الرحلات الأندلسية و المغربية (حتى نهاية القرن تاسع للهجري) ،دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2006 ، ص 21

[3] فوائد قنديل أدب الرحلة في التراث العربي ،مكتبة الدار العربية للكتاب ،2002 م ، ص 14

قال الله تعالى { **وأذِّن فِي النَّاسِ بالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعلى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ من كلِّ فَجٍ عَمِيقٍ** }[1]، " ولعل هذا الداعي هو الذي كان له قسمة الأسد في الرحلة العربية عبر التاريخ وإن كانت الرحلات الأخرى تقوم على الرغبة في ممارستها فإن رحلة الحج رحلة تكليفية. "[2] وأثناء زيارة الحج يصف الرحالة كل ما يقع عليه نظره من معالم حضارية وطرق وجبال وما يتعلق بجغرافية المكان.

وإلى جانب هذا قد يسرد الرحالة جانبا من السنن النبوية وأثار السلف. ويطرح بعض القضايا الدينية والمسائل الفقهية.

إذا فالدافع الديني من الأسباب القوية للرحلة سواء كان لقصد الحج وزيارة البقاع المقدسة أو الرحلة في الدعوة إلى الله تعالى وتعليم الدين الحنيفي في شتى بقاع العالم، إذا الداعية إلى الله تعالى قد يذكر حاجات وتفاصيل مهمة أثناء رحلاته، ما يجعل من الرحلة سردا لسيرة ذاتية وهذا النمط عرف في المغرب العربي وأبرزها رحلة أبي رأس الناصري الجزائري.

3. الدافع العلمي :

ومن الدوافع ما يذكره ابن خلدون في مقدمته الشهيرة (والرحلة لا بد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال).[3]

ومن الدوافع أيضا أن كثيرا من الرحالة قاموا برحلات بغرض الزيادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبنائها في مجلات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، ونذكر كتب الحديث والسيرات من الفقهاء

[1] سورة الحج – الآية - 27

[2] عيسى بختي ، أدب الرحلة الجزائري الحديث ، مكونات السرد ، دار الهومة الجزائر ،2014 ،ط1، ص29

[3] سيد حامد ، النساج ، مشوار كتب الرحلة (قديما و حديثا) ،مكتبة غريب ، د,ط ،2001م ، ص 10

والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس الغزالي، والأحنف العبكري الشاعر، ولا نملك لمثل هؤلاء حصرا، فما أكثرهم. ومن ذلك قيل أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية. [1]

إذ كان طلب العلم قد شغل اهتمام العديد من الرحالين، حيث كان هناك من الرحلات ما ارتبطت بنية طلب العلم، أي أن العلم ضرورة لازمة في الرحلة. وخير دليل على ذلك رحلات ابن جبير وابن بطوطة.

4. الدافع السياسي :

كالوفود والسفرات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى الملوك والحكام إلى الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غز و.[2]

5. الدافع الاقتصادي :

ويقصد بها دوافع تجارية، فالتجارة أمر يقتضي، القيام بالرحلة والسفر، وكان التجار يضربون في أراضي جديدة عن طريق القوافي، وعن طريق البحر للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتنذر البلد المسافر، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص، واليسر والوفرة أو العمل[3]، ولقد دفعت الأسباب الاقتصادية بعض

[1] فؤاد قنديل، مرجع سابق ، ص 19

[2] المرجع نفسه ، ص 20

[3] المرجع نفسه ، ص 20

الرحالة للقيام برحلاتهم، واضطر بعضهم الآخر للاشتغال بالتجارة مثل الاتفاق على تلك الرحلات، فليس غريبا إذا أن يعنى بكثير منهم بالأمور الاقتصادية.

6. دوافع سياحية وثقافية :

وهي تأتي من نداء النفس في المغامرة وحب التطلع، وتصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر لذاته، وهي كثيرة وغالية، على غيرها من الدوافع الخاصة في العصر الحديث، كحب التنقل وتغيير الأجواء والشوق للمغامرة والمشاهدة والتأمل في جمال الطبيعة وغرائب الخلق، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف أو الغرائب والعجائب. [1]

7. دوافع صحية :

كالسفر للعلاج والاستشفاء، أو راحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى مناطق الريف ونحوها، وقد يكون هربا من مرض أو وباء يسود المنطقة. [2]

8. دوافع أخرى :

كضيق العيش والهروب من عقوبة؛ وإن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو ذاك التنوع والتعدد لدوافع وأسباب الرحلة، إذن من الصعب أن تحصر الرحلة في دافع واحد. لأن الرحلة قد تضم أكثر من دافع (ديني، علمي، اقتصادي. ..) بل أن الإنسان بطبعه محب للتنقل والاستطلاع والاكتشاف والمغامرة.

---

[1] حسين نصار ، أدب الرحلة ، مرجع سابق ، ص 125.

[2] ينظر ، فؤاد قنديل ، المرجع السابق ، ص 20

وما يمكنني استنتاجه أيضا هو أن الرحلة مدرسة تثقيفية في حياة الفرد والمجتمع. وبفضلها يمكن للفرد أن يطلع على كل خبايا وأسرار الكون من جهة كما يمكنه من خلالها أن يتعرف على ثقافات وعدادات وتقاليد، وقيم ومجتمعات أخرى.

رابعا : أنواع الرحلات في الأدب :

ليس من مبالغة في شيء إذا قلنا أن معظم الرحلات أصنافها هي رحلات نثرية، إلا إذا استثنينا منهم العدد القليل، الذي يندرج تحت الرحلات الشعرية ولعل سبب واضح مفاده، أن الرحالة على تشعب حقولهم العلمية لم يهتموا، بالشعر قدر اعتنائهم بالجانب الوصفي والمادة العلمية التي تحتويها هذه الرحلات.

❖ **الرحلة الشعرية :**

لقد كان البحث عن الماء والكلأ والشغل الشاغل للإنسان العربي البدوي، وتتبع مساقط الغبث من مكان لآخر، ولذلك كانت الرحلة واقعا مألوفا من حياة البد والعرب. ومما لاشك فيه أن هذه التنقلات قد أحدثت أثرا كبيرا في كتاباتهم. فجاءت الرحلة مصورة بكامل تفاصيلها، بما أحدثته من تغير في الحياة الاجتماعية والفردية. [1]

فاحتل حديث الطلل والنسب والغزل والمديح والهجاء، المقدمة الطللية في الشعر ومنه نجد معلقة امرئ القيس يقول :

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوْمَلِ[2]

[1] حسين نصار ، مرجع سابق ، ص 97

[2] امرئ القيس ، ديوان امرئ القيس ، شرح عبد الرحمان المصطفاوي ، ط2، دار المعرفة – بيروت ،2004م، ص21

فكان امرئ القيس بهذا ألا ضل ما صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصرع واحد، " وفي قصيدته الطلية يلتقي الشعراء في أربعة مواقف من بينها :

1. إعلان خبر الرحيل.
2. معاشات الركب، والوقوف عند معالم الطريق.
3. وصف الضغائن أي (المسافرات) والهوادج.
4. موقف الشاعر من الضغائن المتحملة. [1]

ومن هنا كانت الرحلة الشعرية التي لا تخرج عن هذا النمط الذي تطور بمرور الزمن وأصبح وصفا للرحلة في حد ذاتها من النقطة بدايتها إلى نهايتها.

❖ **المرحلة النثرية :**

وهنا أريد أن ألفت النظر بأن أصل أدب الرحلة هو عالم النثر لا عالم شعر لما تتميز به من سرد ووصف وذكر للأماكن والأزمنة فإذا تركنا الشعر للنثر، أحسسنا أننا انتقلنا إلى مجال فسيح لا حدود له، لأن النثر هو الموطن الطبيعي للرحلة، فكما هو معروف أن معظم الرحلات هي رحلات نثرية لا شعرية، ولذلك يمكن أن نجد فيه أشكالا فنية مختلفة وإنما متعددة.

ومن بين هذه الأشكال ما نسميه بالتقارير الرسمية وينطبق على الرحلات التي كان السبب فيها أمرا رسميا مثل السفارات ومثل ذلك رحلة "ابن فضلان"[2]. ومن بين الأشكال أيضا ؛الرسائل أي المكاتيب التي يدونها أحد الأشخاص ويبعثها

[1] حسين نصار ، مرجع السابق ، ص 100

[2] المرجع نفسه، ص103

إلى صديق أو قريب وفي أحاديث إلى أحد الحكام، مثلا كرحلة بن المحسن[1]، وهي كتابة تتعلق برحلات رسمية تتميز باللغة الرسمية خاصة.

لا نستطيع إذا أن ندعي للرحلة حجما معينا، وبخاصة في العصر الحديث، الذي شارك فيه الصحافيون، وقاموا بالرحلات من أجل كتابة مقال واحد أو مقالات متتالية في الأحداث التي واجهها، والظواهر التي رصدوها. [2]

وخلاصة القول أن أصل الرحلة هو نثر؛ أي أن الرحلة النثرية هي جنس قائم بذاته.

خامسا : أسباب تدوين الرحلة :

1. **تلبية طلب الأصدقاء والأقرباء** :بتدوين الرحلة وإمتاعهم بالاطلاع على ما أثار إعجاب الرحالة ودهشته وفرحته وحزنه. ..
2. **إفادة القراء** : والحق أن الإفادة هي التي دفعت جميع الرحالة إلى التدوين.
3. **الاهتداء بها** : ومثال ذلك إبراهيم رفعت باشا بن السويفي المليحي (1935/1857) في " امرأة الحرمين " قال بعد أن أدى الحج أربع مرات فرأيت أن نعمة الله على بشكرها إلا تدوين رحلتي من أول خطوة فيها آخر خطوة وإخراجهما للناس، لينتفعوا بهما وليستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة [3].
4. **إبراز المناسك** : يمكن أن أقول أن ذلك كان السبب وراء تدوين كل رحلات الحج. سواء أعلنت الرحالة ذلك أو لم يعلنه، وأكتفي بما قال إبراهيم رفض باشا "ولقد كان من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات، وتكلف

[1] حسين نصار ، مرجع السابق ،ص 104

[2] المرجع نفسه ،ص106

[3] المرجع نفسه، ص52 -53-54

الرحلات الباهظة في سببيها : أن أبين شرحا لفرض من فروض الدين، وأصدق لسان يصف محمد النبوة ومبعث التشريع، وإنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شرفت به حتى كأنما تراها رأي العين "

5. **التاريخ** : ومثال ذلك عبد الوهاب عزام حيث عمم ورأى أنها تفعل ذلك مع الماضي للانتقال به قال :" ولست بحاجة لأن أعيد ما قلت قبلا : إني أردت بتسجيل مشاهدي أن أعرض على قراء العربية صفحات من ماضينا وحاضرنا، وذكرا سعيدا أو شقيا من تاريخنا ".[1]

والتاريخ للأحداث المتنوعة، وتقديم معلومات موجزة أو مفصلة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلدان المختارة أو المقصودة من الزيارة.

6. **التعريف بالبلدان** : من الطبيعي أن هذا هو الغرض من كتابة الرحلات الذي قد يجمعه غرض آخر من الأغراض التي ذكرناها، وقد يكتفي الرحالة بالإجمالية في التعبير كما فعل عبد الوهاب عزام في قوله لابنته التي يخاطبها في مقدمة رحلاته الأولى " ومهما يكن فهذه صفحات أعربت فيها عمّا رأيته وشعرت به في البلاد الإسلامية، أرجوان تجري في التعريف بأحوال هذه البلاد. "

والواضح من قوله أنه يريد نشر هذه الرحلة فائدة الذين يهمهم أمر الاطلاع على شؤون المنطقة ما من مناطق البلاد الإسلامية التي زارها. [2]

[1] حسين نصار ، مرجع السابق ،ص 54

[2] مرجع نفسه ، ص55

7. التعريف بمسائل علمية :

طلب العلم والمعرفة ومن الأسباب الهامة للرحلات، بحيث تحدثت هذه الرحلات العلمية عن العلماء وعلومهم وأثارهم.

8. **الحث على الترقي** : ويقصد بذلك نقل الر حالة ما يراه مفيدا بعين قومه على التقدم.
9. **تقليد الأوروبيين في الكتابة** : صرح بذلك "ادوارد بك إلياس "(ت.1923) فقال في مقدمة كتابة " مشاهدة أوروبا وأمريكا " فإني لما على فوائد السياحة والعلم بما في البلدان من المعالم والآثار، ورأيت ما عند الغربيين من كتب يكثر نفعها. في وصف المدائن والشواهد، عولت على بعض شامل كتاب بالعربية في هذا المعنى. [1]

ويبدوا أنه لم يكن عارفا بالرحلات العربية القديمة التي قدرها الغربيون أنفسهم حق قدرها، وترجموا كثيرا منها إلى لغاتهم المختلفة , وهنا يحقق لنا القول بأن الأوروبيين هم من قلدوا العرب في كتابة الرحلات.

10. **تعريف الناشئين بأدب الرحلات** : كان ذلك واحدا من الأغراض التي استهدفها عبد الوهاب عزام من كتابة رحلاته لينتفعوا تلك المعرفة في كتاباتهم. قال " ثم آمل أن تكون عونا لناشئة الأدب على هذا الضرب من الكتابة الوصفية الذين هم في حاجة إلى إتقانه. "

[1] ينظر ، حسين نصار ، مرجع سابق ، ص56

المبحث الثاني : أدب الرحلة (النشأة والمفهوم).

أوّلا : مفهوم أدب الرحلة :

يعد أدب الرحلة من أقدم الفنون الأدبية، التي ازدهرت مع مرور الزمن، وتطورت بتطور الثقافات والحضارات، فأدب الرحلات littérature de voyages" هو مجموعة من الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد" [1] وحسب تعريف " مجدي وهبة " وكامل المهندس " فإن الرحلة تتضمن السرد أو الوصف مجرد للعادات والتقاليد والأخلاق، وقد يجزأ مرحلة واحدة يسلط عليها الضوء.

وعليه فأدب الرحلة أدب يقوم على السرد القصصي يضمنه الكاتب الرحال مشاهداته وانطباعاته في البلاد التي يزورها وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية أو نبذة عن التاريخ، أو عادات الناس، وتقاليدهم وأنماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هاما، وموضوعا للدراسات المقارنة في مختل المجالات الفكرية الأدبية والحيائية، ومن شروط أدب رحلات دقة الملاحظة وتحري الحقيقة، وسهولة الرواية، وحسن التصرف، وهي من الصفات التي يجب أن تتوفر في الرحالة، [2] فالرحلة إذا " هي لون أدبي ذ وطابع قصصي مبني على الوصف والسرد، والحامل في طياتها مجموعة من

---

[1] مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ،ط2، مكتبة لبنان – بيروت،1984م، ص17

[2] فواز الشعار ، الموسومة الثقافية العامة ، إشراف إيميل يعقوب ،ط1، دار الجيل ، بيروت ،1999،ص197

المعالم والعلوم التي يستفيد منها الشخص في الجغرافيا وغيرها من العلوم. لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية والتصوير المباشر. [1]

وقد عرفه السيد حامد النساج في كتابه منشورات كتب الرحلة " أي أنه ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا أو معنى آخر : الرحلة عندما تطلب في شكل أدبي نثري مميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصوير بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة. "[2]

أمّا" انجل بطرس" يعرفه فيقول :" أدب الرحلات إذا ما هو يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها الرحالة إلى بلد معين من بلدان العالم، ويدون وصفا لها، ويسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب [3] والقدرة على التعبير.

وقد عرفه "سعيد بن سعيد العلوي" بأنه "جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتميزه عن الأجناس الأدبية كونه خطاب مخصوص له منطقه الذاتي وبناؤه ومكوناته وعناصره، يجمع بين الإفادة عندما يخبرنا عما يراه، الامتناع عند رصده ما هو عجيب فالرحالة يتقمص دور السارد والقاص."[4]

وهناك من ينسب الرحلة إلى حقل السرد "باعتبارها كتابة أدبية تتوافر على مكونات سردية وآليات كتابية تسمح للتصنيف أن يأخذ مشروعه في خانة

---

[1] د.حسين محمد فهيم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ،المركز الوطني لثقافة و فنون آداب الكويت ،1989، ص 17

[2] سيد حامد النساج ،مرجع سابق،ص5

[3] إنجل بطرس ، الرحلات في الأدب الانجليزي ، مجلة الهلال ،ع7،1975، ص 52

[4] ينظر: سعيد بن سعيد العلوي ،أوروبا في مرآت الرحلة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة ،مطبعة نجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،المغرب ،ط1،1955م ،ص 19

الأدبي."[1] فالرحالة بصدد الإخبار عما صادفه من أمور وأحداث أثناء رحلته لأحد الأماكن. لهذا يعتبر النصر الرحلي نصا سرديا.

ولعل خير أمثلة من أدب الرحلات هو ما يكشف عن شخصية الرحال، بصدد ما يقدم بنجاح وصف البلاد التي ينتقل بينهما، والناس الذين يلتقي بهم، فإذا كان الوسط الذهبي هذا. ففي أحد طرفيه توجد الأمثلة التي تقع فيها شخصية الرحال في مركز الانتباه وفي الطرف الآخر تقع الرحلة الجافة التي لا تحمل أثرا لشخصية صاحبها. وتفقد الشخصية المميزة بعد أن تصبح مجموعة من الحقائق الخالية من السمة الانسانية التي يميز بها العمل الأدبي. "

بينما عرّفته الموسوعة العربية العالمية " هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلته قام بها لأحد البلدان "[2]. والمراد من تعريف الموسوعة هنا أن الرحلة أدبية في أسلوبها ومنتصرة عن الرحلات الأخرى.

كما يوجد من يرى أن أدب الرحلة هو أدب يدخل في درس الصورولوجيا، أي دراسة صورة شعب عند شعب آخر، ويتبع أدب الرحلات إلى عادات وتقاليد وتأثيرات إقليمية. "[3]

وقد أصبح لأدب الرحلات في العصر الحديث حقل خاص به، حيث ازدهر و وتطور ولم يعد مضمنا غيره في بداياته، إلا أن تعريفه مازال يتعدد ويتنوع.

---

[1] شعيب حنيفي ، الرحلة في الأدب العربي ، رؤية للنشر و التوزيع ،القاهرة ، ط1 ، د.ت ، ص 45

[2] ناصر عبد ،رزاق الموافي ، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار النشر المصرية ، مكتبة الوفاء ، ط1995م ،ص 17

[3] الموسوعة العربية العالمية ،ج11،ص136

فكثرت تعريفاته حتى أصبحت بعدد أصحابها، ولكن المتأمل في مجموعها يجد أنها ترتكز على مجموعة الأسس أهمها :[1]

- ❖ أنه واقعي يقوم على الرحلة أو الرحلات التي تمت في زمان ومكان معلومين.
- ❖ وأن الذي يقوم به رحال تمكن حب الرحلة منه يصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة.
- ❖ وأن الوصف يجب أن يوازي بين الشخص الرحال من ناحية والرحلة كموضوع من ناحية أخرى.
- ❖ ويستخدم النثر المعبر عن ذات الرحال، والحامل لخصائصه دون تكلف أو إسراف مع المحافظة على بنية تكفل أو تماسك العسل ووحدته.
- ❖ هو فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده الفضفاضة، التي تتيح له قدرا من المخزونة والقدرة على التطور والتلون حسب مقتضى كل فرد، أو عصر أو بيئة. [2]

وبالجمال فإن أدب الرحلة فن من الفنون النثرية يمتاز ب " تشكيل لنص شخصي بخصوص الأنا والآخر...يتبين مكتفيا في شكل معبر عن رؤية معينة انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية، أو مضمر في تضامين السرد والوصف والتعليقات. "[3]

[1] د.لخضر حشلافي ، مرجع سابق، ص42

[2] بوقرط الطيب ، أدب الرحلة بين محوري التموقع و التوقع مع منظور النقد الأدبي قراءة في إشكاليات و الأفاق ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد6،ص60

[3] شعيب حنيف، مرجع سابق ، ص 45

فأدب الرحلة إذن يعد نوعا من أنواع التواصل الثقافي فبواسطته تتعارف الأمم والشعوب وتتقارب، حيث تتعرف كل أمة إلى ثقافة أمم أخرى، وكذلك تعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية.

وخلاصة القول أن الرحلة هي دليل القارئ في متاهات المجهول من البلدان والأجناس يرافقه خطوة بخطوة، ويأخذ بيده يرفق ليصل به إلى الغاية الكبرى المتمثلة في الكشف عن كل ما يحيط به، من ظروف وحيوان على كافة الأصعدة.

ثانيا : نشأة أدب الرحلة وتطوره :

لقد أسهم العرب في تطور أدب الرحلات إسهاما كبيرا عبر التاريخ، فأبدعوا فيها، حتى تفوقوا على غيرهم من السبق إلى التفنن فيها بأساليب الإبداع على مستوى بنيتها الشكلية والبنيوية، فوصفوا وصوروا لنا الأوضاع التي عايشوها بأنفسهم طوال رحلاتهم، والتي علتها تغيرات وتطورات بدء بالعصور الأولى وصولا للعصور الحديثة والمعاصرة، بحيث يحفل تاريخنا الإسلامي في القديم والحديث بنماذج مشرفة للعلماء الذين ضربوا المثل الأعلى في الفضل والعلم والجهاد وكثير من هؤلاء غير معروفين وقليل من الناس من يعرفهم وسنحاول في هذا المبحث عرض أبرز هؤلاء الإعلام، على الصعيد العربي والجزائري.

أ- أدب الرحلة عند العرب :

لقد عرف الرحلة منذ العصر الجاهلي، فقاموا برحلاتهم التجارية إلى بلاد [1]

[1] فؤاد قنديل ، مرجع سابق، ص60

العراق وغيرها من البلدان، وكذلك لنشر الإسلام دور كبير في انتشار الرحلات، فقاموا المسلمون بوصف البلاد التي فتحوها. ونقل علومهم ومعارفهم إلى العربية.

ولقد كان أغلب الرحالة في القرن الثالث للهجرة من اللغوية. وهم يعتبرون أيضا رحالة جغرافيين :" في القرن الثالث للهجرة كان معظم الرحالة وجغرافي النصف الأول منه من اللغويين وأبرزهم المؤرخ المعروف هشام الكلبي، وقد صنف عديدا من المؤلفات أهمها " كتاب الأقاليم " و" البلدان الكبير ".[1]

وكذلك بروت مرحلة تجمع فيها من أخبار الرحالين، وحكاياتهم كثيرة ولعل من أقدمها تلك الأخبار التي روادها " ابن غرداية " عن " سلام الترجمان " في كتابه المسالك والممالك. "[2]

أما إذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري : فإنه يمثل قمة النضج الفني لأدب الرحلات بظهور عدد كبير من الرحالة من أهمهم " المسعودي (ت346ه) صاحب "مروج الذهب ومعدن الجوهر " وابن فصلان الذي أوفد الواثق إلى بلاد البلغار ونهر الفولجا، التي كانت تمثل أبعد أطراف العالم الشمالي وتحفل رسالته التي دونها عن رحلته بمادة إثنوجرافية على درجة عالية من القيمة والتنوع. "[3]

وفي القرن الخامس الهجري : ظهر اسم " أبي الريحان محمد البيروني، الذي كان قد التحق بالسلطان " محمود الغزنوى" في (غرنة) سنة 1017م. حين قام بعدة رحلات علمية في بلاد الهند التي قضى فيها نح وأربعين سنة، ووضع

[1] فؤاد قنديل ، المرجع السابق،ص60

[2] ينظر ، أحمد أبو سعد ،مر جع سابق ، ص33

[3] فؤاد قنديل، مرجع سابق ص 73

كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة. " واعتنى فيه بالجانب الفكري والثقافي للهند [1].

أمّا في القرن السادس الهجري ؛يكاد هذا القرن ينافس القرن الرابع في حجم الانجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات بما يعد نقله حضارية كبرى في هذا المجال، وقد تميز بشهرة الرحالة المغاربة أمثال : الأندلسي (1099–1153) صاحب كتاب" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " بين فيه حسه الجغرافي، بوصفه الجيد ومهاراته في صناعة الخرائط. ..، الأمر الذي جعله أعظم جغرافي في العصور الوسطى على الإطلاق. [2]

ومن بينهم كذلك " الورثلاني " (1170-1100م) حيث " تتفق معظم المصادر على أن للشيخ. " بن براهيم السداتي الورثلاني "، ثلاث رحلات مهمة وهي : رحلة إلى الأندلس طلبا للعلم، وإلى السودان للتجارة والاستكشاف وللمشرق لحج بيت الله الحرام ". جامعا بذلك أنواعا ثلاثة من الرحلات العلمية والتجارية والحجازية.

وفي القرن السابع الهجري ؛ ولعل أهم إنجازات رحالة هذا القرن هو صدور كتاب " معجم البلدان " لياقوت الحمودي، ليس لأنه يتكون من عدة مجلدات ضخمة تحوى بين جوانبها مادة على قدر كبير من الثراء والقيمة عن كافة أقطار ومدن وقرى العالم الإسلامي، ولكن لأنه أسهم في نشر شذرات مطولة مأخوذة عن مصنفات لا تزال مفقودة حتى الآن.

[1] ثنيل راغب، مرجع سابق ص 32-33

[2] فؤاد قنديل، مرجع سابق ، 75

وفي هذا القرن أيضا صدر كتاب سير وه و" عجائب المخلوقات " لزكريا القزويني، وقد أغرى هذا الكتاب الكثير بتقلبه لاحتوائه على العجائب والغرائب، ولعل من أهم من قلدوه (الدمشقي وابن الوردي)[1]

أما في القرن الثامن الهجري : فه ويمثل القرن الذي بلغت فيه رحلات العرب أقصى غاياتها، سواء من الناحية المعرفية أو الناحية الجغرافية، أين برز المغربي المشهور "ابن بطوطة ". صاحب كتاب " تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " وه وأشهر من جال في البلاد وجاس في أمصار، التقى بالعلماء والملوك...، وه وثمرة هذا القرن، بحث أصناف المتعة والجاذبية في حقل أدب الرحلة العربي. [2]

أمّا أمر الرحلات المهمة في دون جدال رحلات العالم السياسي والمؤرخ عبد الرحمان بن خلدون الذي أوردها ضمن كتابه " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا " وكان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته بينما شغلت رحلته في أدب الرحلة العربية. [3]

وبعد أن وقفنا على مسيرة الرحلة العربية تبين لنا كيف أن أدب الرحلة العربي يشكل مادة قيمة وضخمة، وهذا راجع إلى دافعين أساسيين أولهما السفر والترحال الذي حث عليه الإسلام، وثانيها الحس الإبداعي القصصي والروائي الذي يمتلكه العربي فدفعه إلى صياغة رحلته في مدونته يوجهها للقراء الباحثين.

ب – أدب الرحلة عند الجزائريين :

[1] المرجع نفسه ،ص 78-79

[2] فؤاد قنديل ،المرجع السابق، ص 79 -80

[3] المرجع نفسه ،ص 80

عرف الجزائريون عبر تاريخهم الطويل، كغيرهم من أبناء يعرب – بكثرة ترحالهم وسفرهم في شتى أنحاء العالم، ولاسيما خلال القرن الثاني عشر الهجري (12ه) القرن الثامن عشر الميلادي (18ه) الذي يعد العصر الذهبي لتطور فن الرحلة على الصعيد العربي، نظرا لكثرة التأليف فيه. غير أن ما يمكن أن يقال عن الرحلات الجزائريين أنهم كانوا قليلي الإنتاج بالمقارنة مع إخوتهم المغاربة الذين دونوا رحلاتهم، فكانت معروفة ومتداولة منذ قرون طويلة، بينما بقيت رحلات الجزائريين مسموعة أو شفهية فقط. فلم يقوموا بتسجيلها لسبب أو لآخر .

يصنف المهتمون بأدب الرحلة إلى أنواع تختلف باختلاف مسببات هذه الأخيرة وعلى غرار هذا فقد تنبه الأستاذ الدكتور "أبو قاسم سعد الله إلى هذه المسألة في كتابته بعض رحلاتهم نتيجة للحد، وبذلك تكون رحلات حجازية، وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون " رحلات علمية " [1]. إذ يكون الضابط أو المعيار المستند في هذا التصنيف دواعي الرحلة في حد ذاتها، هذا إن كان معلنا، ففي بعض الأحيان يكون السبب مختفيا وغير ظاهر كأن يكون لغرض التجسس، أو العمل لدى المخابرات الاستعمارية مثلا.

لكن السؤال المطروح هنا : هل يقتصر أدب الرحلات عند الجزائريين على هذين الصنفين فقط؟ أم يوجد أنواع أخرى للرحلات الجزائرية ؟

للإجابة على هذه التساؤلات لا بد من التحدث عن هذه الأنواع وتفاصيلها.

1- الرحلات الحجازية :

[1] أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2 (1500-1830) ط1، الغرب الإسلامي بيروت ،1998م، ص 381

فقد كانت الرحلات في بلاد الحرمين الشريفين في المقصد الأوّل للترحال الجزائريين فقد أدرك هؤلاء قدسية أرض الحجاز، وعلموا خبرات التوجه العليا، وكتبوا رحلاتهم شعرا ونثرا، نذكر منها الحجازية والشعرية.

ومثال ذلك رحلة عبد الرحمان بن خروب المحاجي (عاش خلال القرن 11) والتي قام بها سنة 1063ه، ويخبرنا فيها عن بلاد مصر التي قام فيها بصحبة ركب الحجاج أياما التقى خلالها بعلماء أجلاء بقوله :

فصلينا فيهم والتقينا بكل من له في طريق العلم والخبر شهرة

كمثل الأجهري العالم الذي له رتبة تسم وعن رتبة [1]

أمّا **الحجازية النثرية،** فقد أخذت حصة الأسد، رد كرحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التنلاني (ت 1189ه) التي اشتر بكثرة رحلاته طلبا للعلم وزيارة الروضة الشريفة [2] بالإضافة إلى من الكثير الرحلات من بينها رحلة أبي راس الناصري "." وحسين الورثلاني ".

2-الرحلات العلمية :

لا بد أن الحاجة العلمية هي الباعث للقيام بمثل هذه الرحلات، ومن بينها: "رحلة عبد الرزاق بن حمادوش "الذي عاش في القرن الثاني عشر (12ه) والتي حققها الأستاذ " أبو قاسم سعد الله " وعن قيمتها يقول " أنها تحفل بالمعلومات عن

[1] زوهري وليد ، أدب الرحلة الجزائريين إلى مكة و المدينة ، دراسة وصفية تحليلية ، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية ،ع 158،2012،1

[2] أحمد أبا الصافي جعفري ، الحركة الأدبية في أقاليم من القرن 7ه حتى نهاية القرن 13ه ج2،ط1،منشورات الحضارة ، 2009 ،ص144

عصره سياسيا وفكريا، واجتماعيا، وعن معاصريه، وأفكارهم وطبائعهم وأخلاقهم وأذواقهم. ..كونها نادرة من نوعها "[1].

وبذلك فهي مصدر هام يفيد المؤرخ والأديب والجغرافي.

3-الرحلات السياسية :

وهي تلك الرحلات التي ترجع أسبابها إلى قضايا سياسية بين البلدين، ترجعها مصالح إدارية، أو دبلوماسيا، كما هو الحال بالنسبة للجزائر وفرنسا، ونجد في هذا الصنف نوعان من الرحلات وهما.

أ- **رحلات مدعمة للحركة الاستعمارية** : والتي كانت نح وفرنسا، وهدف منها التعريف بالبيئة الفرنسية ومن بين هذه رحلات رحلة : محمد السعيد بن على علي الشريف (1826- 1896) وسليمان بن الصيام (1896).[2]

ب-**رحلات مطالبة بالتحرر** : التي قام بها العلامة ابن باديس بحيث تنقل داخل الوطن من أجل نشر الفكرة الإصلاحية بين جماهير الشعب الجزائري بغرض التعريف بالقيمة الجزائرية. [3]

4-الرحلات الثقافية :

مثل رحلات أبي القاسم سعد الله الذي نشر بعضها في كتابه :" تجارب في الأدب والرحلة، ومن بينها رحلة إلى المغرب في 29 جويلية 1979م، للبحث

---

[1] عبد الرزاق بن حمادوش ، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمات لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال تحقيق ، أبو قاسم سعد الله ،الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ،2007 ،ص 24

[2] ينظر عبد الله الركيبي ، تطور النشر الجزائري ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، د.ط ، د.ت ، 2009 ، ص 57-59

[3]ينظر :محمد مصايف ،النثر الجزائري الحديث د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983م ،ص 65.

عن المخطوطات التي تعينه في مادة بحثه لتاريخ الجزائر، كما التقى بشيوخ أمثال (محمد إبراهيم الكتاني وعبد المالك مرتاض) [1].

5-الرحلات الاجتماعية :

فقد تهدف إلى إبراز الناحية الاجتماعية بشكل أساسي مثل رحلتي "علي مرحوم " ومحمد الصالح رمضان " فقد كان طابعها العام اجتماعيا وثقافيا وأدبيا.[2]

وخلاصة القول أن الرحلات الجزائرية تبقى تجارب متواضعة ومادة معالجة جانبا من صورة عن الانسجام في فن الرحلة، في العصر الحديث، تدوينا وتفاعلا.

ثالثا : قيم أدب الرحلة :

لأدب الرحلات قيمتان عظيمتان لاختلافهما عن أي جنس سردي هما :

ب- القيمة الأدبية :

الرحلات في ذاتها عبارة عن أسفار والرحالة ليس بالضرورة أن يكون أدبيا كي ينقل رحلته بأسلوب أدبي، ولكن الأساليب المستخدمة في سرد الرحلات ترقى بالرحلات إلى أن تكون فنا أدبيا أو جنسا من الأجناس النثرية، لما تستخدمه من

[1] أبو قاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1983 م، ص209

[2] ينظر : عمر بن قينة ، رحلات و رحالون في النثر العربي الجزائري الحديث ،دار الأمة ، الجزائر ، ط2، 2012م، ،ص 6 -7

وصف وحوار وقص بأسلوب مشوق وحكاية وغيرها [1]. ومعنى هذا أن أدب الرحلة تتجلى أدبيته في عدة مواضع وذلك من خلال تلك الأساليب الفنية التي تقدم فيها مواردها لترتفع بها إلى عالم الأدب وترفض بها إلى مستوى الخيال الفني. [2]

وفي هذا الصدد نجد (السيد حامد النساج) يبحث في حديثه عن هذه القيمة الأدبية التي تتجلى بها الرحالة في رحلاته.

يقول " أما أسلوب الكتابة، واللغة التي يتوسل بها كاتب الرحلة، فإنه قد يغني إليها قيمة أدبية، وبخاصة عندما يحتفل الكاتب بالأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمل اللفظ، وحسن التعبير، وارتفاع الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة وعلاوة على قد ما يستعين به أحيانا من أسلوب قصصي سلس ومشرق. وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية. [3]

ت- القيمة العلمية :

تتجلى هذه القيمة في ما " تحتويه معظم الرحلات من الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما يدونه الرحالة تدوين المعاين في غالب الأحيان، من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة، بمعنى أنه ينقل ما يراه ليضعه بين أيدي الجغرافيين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع أو الاقتصاديين. [4]

[1] ينظر : جميلة روباش ، مرجع سابق ، ص 17-18

[2] حسني محمد حسين ، مرجع سابق ،ص 8

[3] سيد حامد النساج ، مرجع سابق، ص 8

[4] المرجع نفسه ، ص7.

إنه وهو يدون مشاهداته الجغرافية على سطح الأرض إنما يعمل على خدمة علم الجغرافيا، فه وعندما يعتنق الممالك والبلدان والأصقاع والأقاليم والمدن والمسالك، وعندما يتحدث عن الطبيعة والمناخ، وظاهرة توزيع السكان وغبر ذلك مما يعد من صميم الدراسات الجغرافية، إنما يعتبر من هذه الناحية مرجعا أساسيا بالنسبة لمن يتناول هذه الموضوعات بالدراسة وما يقال عن الجغرافيا يقال عن التاريخ والأدب والتاريخ والآثار والاقتصاد والأديان والأساطير، ذلك أن الرحلات سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة في مجتمع بعينه. "[1] والواضح مما سبق أن الأدب الرحلات أهمية بالغة حيث قدم الكثير من العلوم الجغرافية والتاريخ.

رابعا : خصائص النص السردي الرحلي :

تتميز الكتابة الرحلية بجملة من الخصائص تميزها عن الأجناس النثرية الأخرى تتمثل في :

- **هيئة بنية السفر** : التي تؤطر الأحداث وتنظمها مما سبق الإشارة إليه
- **الذاتية** : تحظر ذات الرحالة في رحلته حضورا بارزا وليس هذا بمستغرب مادامت الرحلة حكيا لسفر قامت به هذه الذات، وهكذا تحتل الذات المركز في حل الترحال، وتصطبغ الرحلة بألوانها.
- **الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا** : وهذا تجل من تجليات الذات في الأسلوب الكتابة.
- **الواقعية** : الرحالة الراوي رجل واقعي عاش في فترة زمني معروفة، والأشخاص الذين عنهم أيضا واقعيون عاشوا في زمن معروف، ومكان

[1] سيد حامد النساج ،مرجع سابق، ص 8

معروف فالأماكن التي يعقبها أماكن حقيقية لهما وجود فعلي على أرض الواقع، وبهذه الخاصية تتميز الرحلة عن الرواية والمقامة المبنيين على الخيال.

- **دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق** : فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه، ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود معه إلى نقطة الانطلاق، وهكذا يدور الخطاب مع السفر وينتهي من حيث بدأ.
- **تعدد المضامين وتداخل الخطابات** : يشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية وأدبية. ..وتتداخل فيه خطابات مختلفة :الشعر والرسالة والحكاية والوصف والسرد. .. وهذا ما يجعله مميز عن الأجناس الأخرى . [1]

بالإضافة إلى هذه الخصائص نضيف عنصرين أساسيين أو مهمين في النص السردي الرحلي ألا وهما السرد والوصف.

أ-السرد :

يشكل السرد العصب الرئيسي للخطاب الرحلي عموما، فلا تنفك الكتابة الرحلية عن السرد، ولا يمكن أن تستغني عنه ما دامت تنقل إلى المتلقي أحداثا وأفعالا قامت بها الذات الكاتبة، وهذه الأحداث والأفعال هي الانتقال من نقطة الانطلاق ثم العودة إليها، ولعل جسد الرحلة يتمثل في السرد الذي يعطي للرحلة شرعيتها الأدبية.

وهذا المسار الذي تعرفه الرحلة هو حيز زمني من خلاله تتفرع بنيات أخرى خادمة للبنية العامة للخطاب السردي، باعتبار أن الرحلة هي ذلك السفر الذي يقوم على التنقل فكل حركة من مكان لآخر عددا للزمن يرصدها، والسرد

[1] د.لخضر حشلافي و آخرون، مرجع سابق، ص 40 -41

هو تلك الإعادة لمسيرة الرحلة خطابيا، والذي يبدأ مع بدأ الرحلة، ويستمر إلى نهايتها، وهذه المسيرة السردية تتكون من مقاطع سردية دائمة الحضور في كل الرحلات، ومقاطع سردية تحضر في بعض الرحلات وتغيب في أخرى، أما البنيات الخادمة هي محطات تتخلل المسيرة السردية في الرحلات حيث يتوقف فيها السرد ليفسح المجال لهذه المكونات الأخرى بالأشغال، ولا يوقف الراوي السرد، إلا ليقدم وصفا أو ليقدم معلومات ومعارف، أو ليسوق شعرا وبعد انتهاء من هذا يعود السرد إلى جريانه. [1]

ولما كان الخطاب الرحلي سردا واقعيا وموقعيا، فه وبذلك يعتمد على نظام السرد الذاتي في تشكيل نمطه، الذي " يتبع الحكي من خلال عيني الراوي (أو طرف السامع) موفرين على تفسير لكل خبر : متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه. [2] فتتحول التجربة الجسدية إلى معالجة خطابية، تتشكل وفق معطيات الكاتب إيدولوجيا أو معرفيا، بخلفيات متباينة، لأن " العملية السردية هو تحويل الأحداث والوقائع من تجربة معيشة إلى سرد مكتوب من تعريفات وإضافات وإهمال وتقرير. [3] لذلك فنحن نجد مبررا قاصما لسلطان السرد على التشكيلة العامة للخطاب الرحلي الجزائري الحديث، باعتبار أنه يعتمد على نقل الأخبار والوقائع وتحليلها، ومعالجة الأوضاع وتقويمها، لأنه بكل بساطة هو خطاب رحلات رسمية غالبا تطغى عليها السياسة والإصلاح، فنضيفها لكل التقرير وإذا تحفظنا على القول أن كل الرحلات على هذه الشاكلة فإننا لا نعدم القول بأن كل الرحلات اعتمدت السرد كمنطق عام للرحلة، فأحمد توفيق المدني

[1] عيسى بختي ، مرجع سابق 60 - 61

[2] حميد لحميداني ، بنية النتص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1993م، ص 46.

[3] شعيب حنيفي، مرجع سابق ،ص 268

تستمر عنده وتيرة السرد باعتباره يصل إلى الخبر أساسا، كما هو الشأن عند الإبراهيمي الذي لا يطرح المباشرة في الأخبار عن القضايا والتفاعلات التي اعترضنه، ومثله ابن باديس والغيري ومحمد الصالح رمضان وغيرهم، فبقوم كل منهم مقام السارد الذي يقف شاهدا على أحداث يرسمها كشاهد معلوم، مكونا عبر أحداث وأفعال متعاقبة وسلبية في بعض الأحيان ومتناثر تقي إلى مستوى الخطاب. [1]

ت- الوصف :

ينتشر الوصف في مساحات كبيرة من نص الخطاب الرحلي، أو قد يتقاسم مع السرد الحصة الكلية لهذا المتن باعتباره أن السرد والوصف نمطا خطابيا يتناوبان على طول الخطاب الرحلي، إذ أن الوصف في الرحلة ليس مفارقا للسرد، بل خادما له فالراوي يسرد حين يتحدث عن المتحرك. ويصف حين يتحدث عن الساكن، وبعبارة أخرى يتم السرد بالحديث عن الفعل في الزمان ويتم الوصف بالحديث عن المكان أو الأشياء أو الأشخاص. وذلك بالرغم من الانطباع العام الذي يوحي به النص الرحلي كنص وصفي "فالسارد في الرحلة إذن، يصف ليسرد، ويسرد ليصف " [2]. هذا في عموم النصوص، لكن نجد أن هناك مقاطع وصفية مستقلة تقوم على تقديم الجزيئات والتفاصيل للمرئيات أو النشاطات المختلفة وفي معظم الأحوال، تكون هذه الموضوعات نابعة من عمق السرد،

[1] شعيب حنيفي، مرجع سابق،ص 62.

[2] عيسى بختي ، مرجع سابق ، ص 62 - 63

فالرحلة يحكي عن هذه الموضوعات في خضم الوصف لا، إلى الحد الذي يصبح فيه هذا الأخير مستوى من مستويات السرد. [1]

والوصف يتطلب انتباها ودقة ملاحظة من الواصف لكي " يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأن يصور الموصف لك، فتراه نصب عينيك "، والموصوف الذي يلفت نظر الرحالة هو الأشياء الغريبة، وغير المألوفة لديه، وتبعا لهذا ستخلف الموصوفات في الرحلات حسب الأوساط التي عاش فيها الرحالة وما ألف مشاهدته، فيها، لأن المألوف معروف لا يحتاج الرحالة إلى إعادة التعريف به. [2]

خامسا : أشهر الرحالة والرحلات في الأدب :

1. الحسين الورثلاني :

عرف القرن الثاني عشر الهجري، رحلة حجازية أخرى، لعلها أهم رحلة تعتني بالوصف الجغرافي والسرد التاريخي، الخاصية بالبلاد العربية، ومن المشجع أن هذه الرحلة متوفرة كاملة مطبوعة دون تحقيق وقد اختار لهما مؤلفها عنوانا جذابا دلا على مضمونها وه و" نزهة الأنظار في فعل علم التاريخ والأخبار " [3]، كانت رحلته عظيمة حسب رحيله، حيث تحدث فيها عن الحسن والقبيح مبررا المحاسن والمساوئ " فهي رحلة متميزة ذاكرا فيها بعض الأحكام العربية والشريعة.

---

[1] عبد الرحيم موذن ، الرحلة في الأدب المغربي (النص ، النوع ، السياق) إفرايقيا ، الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 112

[2] د.لخضر حشلافي و آخرون ، مرجع سابق ، 40

[3] ينظر : سميرة أنساعد، مرجع سابق ، ص 38

اشتهر الحسن الورثلاني في قريته بني ورثلان التي كان مولده فيها سنة 1125ه-1713م)، كما ذاع صيته في الجزائر وفي بعض البلدان العربية كتونس ومصر والحجاز، ولقد لقبه الحفتاوي بالإمام العالم الشيخ المشايخ الأعلام، كما اهتم بمختلف العلوم منها الفقه، والنحو والعلوم الشرعية والأدب والتاريخ. [1]

ودعمت رحلات الورثلاني الكثيرة داخل الوطن وخارجه وشهرته واتساع معارفه فكان يتردد على بلدان كثيرة منها : بسكة، قسنطينة، عنابة، تلمسان، وغيرها من المدن الجزائرية، إمّا لغرض زيارة قبور الأولياء الصالحين، وإمّا النظر في شؤون الناس كالصلح، بالإضافة إلى زيارته إلى تونس ومصر والحجاز للسياحة وطلب العلم وأداء فريضة الحج. [2]

واتصل بالعلماء في كل البلدان، وحظر مجالسهم وخاصة في مصر التي بقي فيها طويلا فاجتمع بالعالم الخضاوي وأحمد الجزهري.

" اعتمد في رحلته مصادر كثير، فعن الجزائر اعتمد بالطبع على مشاهداته الخاصة التي تعتبر فنا أدبيا عريقا للأدباء لما احتواه من معلومات عكست ثقافات الشعوب التي زارها واحتك بها. [3]

2- أبو راس الناصر :

شهد القرن الثالث عشر الهجري، تأليف رحلات حجازية كثيرة منها محمد بن عبد القادر بن الناصر المعسكري، المعروف بأبي راس الناصر، وعنوان

[1] ينظر : المرجع نفسه ،ص 40

[2] سميرة أنساعد، مرجع سابق ،ص 40

[3] ينظر : عبد المالك مرتاض ، الجدل الثقافي بين المغرب و المشرق ،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع ، لبنان ،ط2، 1982م، ص82

رحلته الشهيرة " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " وهي متوفرة كاملة محققة ومطبوعة، أشرف على طبعها محمد بن عبد الكريم الجزائري. [1]

ولد سنة 1150ه – 1757م بالغرب الجزائري، حفظ القرآن وتعلم الأحكام ثم الفقه عرف " أبوراس " تجربة السفر والترحال منذ صغره، فلم يكتف بالتنقل بين مدن الغرب الجزائري فحسب بل انتقل إلى تونس ومصر والحجاز، ثم الشام وفلسطين ثم رجع إلى الجزائر حيث تقلد منصب الفتوى والقضاء والخطابة في جامع بلدة معسكر. [2]

تتميز رحلة " أبي راس " بمنهج دقيق، وهو يختلف كثيرا عن الرحلات المذكورة رغم كونها تتناول موضوع الرحلة في الحجاز، لغرض أداء فريضة الحج، فهي تظهر علمية أكثر من دينية، فكان المؤلف يهتم بالعلم والعلماء في المحل الأوّل، وكان طلب العلم، وملاقاة الشيوخ أولا ما يتحدث به "أوراس" كلما دخل مدينة، فيأخذ في ذكر علمائها، ووصف العلوم والمسائل التي سمعها منهم، ترك تأليف عديدة أشهرها عجائب الأسفار ولطائف الأخبار وكتاب الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية. [3]

[1] ينظر : أبو قاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 40 .

[2] ينظر : سميرة أنساعد ، مرجع سابق ،ص 41.

[3] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 43.

الفصل الثاني: دراسة من الواقعي إلى الفني الجمالي في رحلة أبي قاسم سعد الله (رحلتي إلى المغرب)

دراسة من الواقعي إلى الجمالي الفني في رحلة أبي القاسم سعد الله

(رحلتي إلى المغرب)

1. **أبو القاسم سعد الله الرحلة والرحالة**
   - أ- التعريف بالرحالة قاسم سعد الله
   - ب- رحلات أبي قاسم سعد الله
   - ت- ملخص رحلة أبي القاسم سعد الله
2. **خصائص السرد في رحلتي إلى المغرب**
   - تعريف السرد لغة و اصطلاحا .
   - النظام السردي في نص(رحلتي إلى المغرب)
   - بنية الشخصيات (المحورية و الثانوية)
   - لغة السرد الرحلي (بنية الوصف : الزماكانية ،والزمانية ،والمكانية)

1- أبي قاسم سعد الله الرّحلة والرّحالة

I. التعريف بالرحالة أبو قاسم سعد الله :

ولد المؤرخ والأديب والناقد أبو القاسم سعد الله سنه 1930ق.م في قرية قمار من وادي سوف الجزائر[1]، يقول عن مولده " أنه من مواليد حوالي سنة 1930 آنذاك لم يكن هناك ما يعرف حاليا(بالنكوة) لذلك فهم قد قدروا عمري تقديرا.[2]

تعرف في ساحة علمية باسم أبي القاسم أما السمة الحقيقية لبلقاسم مصرحا ذلك قائلا : " أحمد هو اسم والدي...أما اسمي بلقاسم أما أبو قاسم فكنت أنا من استعمله مع الأبيات وأحيانا ظهرت بعض مؤلفاتي أو مقالاتي القديمة تسمية (القماري) نسبة إلى بلده(قمار). بولاية وادي سوف بمنطقة (البدوع)التي تعود تسميتها إلى(الإبداع)حسب رأي سعد الله مما قد يوحي بشخصيته المبدعة وشغفه بالإبداع والإصلاح والتفاني في خدمة وطناه. [3]

نشأ في أسرة محافظة بسيطة تنتهي الزراعة وغرس النخيل، في بيئة صحراوية متحلية بالصبر في الظروف القاسية، فمرارة عيشهم هذه ذاقها كل جزائري أثناء الوجود الاستعماري على الأراضي الجزائرية.

---

[1] شريط أحمد و آخرون ، مرجع سابق،ص 22

[2] حفيظة زين ، النقد الأدبي في آثار أبي قاسم سعد الله ، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث و المعاصر ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الآداب و اللغة العربية ، قسنطينة الجزائر 2015،ص13

[3] المرجع نفسه ، ص 13 - 14

1- تعلّمــه:

أخذ العلوم في قرية القمار بمسقط رأسه فأخذ " دروسه الأولى في اللغة العربية وعلومها وحفظ القران الكريم [1]، ثم التحق بجامعة الزيتونة في تونس سنه 1947 وتحصل على شهادة الأهلية سنه 1951. لينتقل بعدها إلى مصر حيث حصل على العديد من الشهادات في مختلف اللغات والعلوم الإنسانية كالعلوم الإسلامية والأدب العربي والصحافة. [2]

ثم التحق في أواخر سنة 1960 بأمريكا للدراسة في جامعة مينسوتا بقسم التاريخي التي قضى بها حوالي خمس سنوات تحصل خلالها على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962، وعلى شهادة دكتوراه في نفس المواد سنة 1965.[3]

2- منابع ثقافته :

- تواجد سعد الله بتونس واحتكاكه بأدبائها وشعرائها الشباب جعلهم يكونون رابطة أدبية القلم الجديد.[4]
- وخلال دراسته في تونس بدأ بالنشر في جريدة (النهضة) و(الأسبوع) التونسيين والبصائر الجزائرية والأدب اللبنانية.

---

[1] سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ، دراسة في النشأة و التطور و البنية ، دار الهوى ، الجزائر 2009،ص96

[2] بلغيث محمد الأمين ، رحيل شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بأقلام أحبائه ، البصائر للنشر و التوزيع، باب الزوار ، الجزائر ، ط1، 2014،ص15

[3] شريط أحمد شريط و آخرون ، مرجع سابق ، ص 22

[4] محمد ناصر ، الشعر العربي الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 2006،ص 157

- اتصاله بشعراء مصر المتمردين أمثال صلاح عبد الصبور... مكنه من تكوين علاقات أدبية وإعجابه بنزار قباني، ومتابعه أعمال نازك الملائكة والسياب اكسبه خبرة في مجال الشعر.[1]
- غني معجمه اللغوي غنيا بالألفاظ والتراكيب الرومانسية."[2]

3- مؤلفاته :

- النصر للجزائر(شعر) دار الفكر، القاهرة، 1957م.
- ثائر وحب (الشعر)، دار الأدب، بيروت، 1967م، (1977 ط2).
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الأدب، بيروت.
- محمد العبد آل خليفة، رائد الشاعر الجزائري الحديث، دار المعارف، مصر 1976م.
- محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية الجزائرية، 1976م.
- حكاية العشاق في الحب والاشتياق، (رواية)، تقديم وتحقيق الشركة الوطنية الجزائرية، 1977 م.
- حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق الدار التونسية، م.1974,
- منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، (ليبيا، تونس) 1976.
- تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسة العربية القاهرة 1977 م.
- الحركة الوطنية الجزائرية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1977 م.

[1] محمد ناصر ، المرجع سابق ، ص 157

[2] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ،2007،ص51

- تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1982 م.
- ابن حمادوش الجزائري، ورحلته لسان المقال.
- تاريخ الأدب الجزائري الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.

نستنتج أن جهود أبو القاسم سعد الله جهود علمية واعية ومدركة جيدا لهدفه العلمي، حيث أنه أبدع في العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية واللغات، حيث أجاد الإبداع باللغة العربية شعرا ونثرا وألّف العديد من الكتب في الأدب والتاريخ والسياسة.

4- وفاتـــه:

توفي أبو القاسم سعد الله يوم 14 ديسمبر 2013 بالمستشفى العسكري حيث كان يتلقى العلاج.

كان الإبداع عند سعد الله باهرا، لمروادته للقلم لم تتوقف وعطائه بمختلف المجالات لم يعرف النهاية، بمعنى أنه عرف بالموسوعة والتجديد في الفكر والأدب خاصة تاريخ الجزائر، ومترجما ومتميز بالموضوعية، قد جاء في أعمال الملتقى الدولي تحت عنوان ' أبو القاسم سعد الله' مؤرخا مفكرا أنه : "من لا يعرف العالم الموسوعي أبو القاسم سعد الله فإنه لا يعرف شيئا عن تاريخ الجزائر. ..فه والمترجم بلا منازع. ..وقوله عن الكتابة: أنها هي دوائي وهي دائي، هي غذائي وهي هوائي، فإذا كتبت رضيت عن نفسي وإذا لم أكتب سخطت عليها، ومر اليوم كأنه سرق عمري. "[1]وهذا يدل على أن شخصية أبو

[1] أعمال الملتقى الدولي ، أبو القاسم سعد الله مؤرخا و مفكرا ، يومي 13 ،14 سبتمبر2015م، بالقطب الجامعي ، الشط الوادي ،ص 360.

القاسم سعد الله شخصية مثقفة في مجالات مختلفة وتميز في المجالات المتنوعة الإبداع والنقد الأدبي والسياسة والتاريخ أدب الرحلة وغيرهم.

II. رحلات أبي قاسم سعد الله :

قام الدكتور سعد الله بعدة رحلات مختلفة القصد والوجهة داخل وخارج الوطن وخارجه أما داخله فقد قادته إلى عدة مناطق بالجزائر باختلافها واتساعها، الجزائر العاصمة، وادي سوف، بسكرة وغيرها أما خارجها فقد شملت كل من مصر، والمغرب، والسعودية، وأمريكا، وغيرها. لكن ما يهمنا من هذه الرحلات هو ما دونه من كتابه الذي جمع فيه معظم رحلاته " تجارب في الأدب والرحلة".[1] وقد تعددت جهوده في مجال الرحلة فه ومن الرحالة الذين ارتحلوا كثيرا وقد مارس فن الكتابة عن رحلاته ورحلات غيره، فاستفاد من ثماره معنا من مشاقته إذ من صفات أدب الرحلة أن يكون من يكتب عن الرحلة رجلا بطبعه محبا للرحلات، وككل العلماء والباحثين الذين كان للرحلة نصيب وأثر في حياتهم، فقد دفعته الظروف الاستعمارية في بلده الجزائر إلى السفر واتحاد في مرحلة مبكرة من حياته، ومن بين رحلاته:

- ❖ رحلة أبي القاسم سعد الله إلى المغرب 29 يولي و1973م.
- ❖ رحله أبي القاسم سعد الله إلى الجزيرة العربية أبريل 1977 م.
- ❖ زيارته لخنقه سيدي ناجي 8 فيفري 1980.

والذي يهمنا هو رحلته إلى (المغرب الأقصى) بعنوان (رحلتي إلى المغرب) والتي غطت 30 صفحة من كتابه.

[1] ينظر :عمر بن قينة ، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، ص 108

III. رحلة أبي القاسم سعد الله إلى المغرب :

بقلم الرحالة الوصاف سجل هذا العلامة المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله في رحلته الأولى إلى المغرب الأقصى من 1973/7/29 إلى 1973/8/19، حيث استغرقت رحلته حوالي عشرون يوما تنوعت أسباب رحلته ودوافعها في قوله : " ولا أكتم نفسي أن الرحلة كانت لها فائدة عظيمة لي، إذ لم أجمع فقط خلالها مادة جديدة نادرة لكتابي عن تاريخ الجزائر الثقافي. ولكني تعرفت أيضا على عديد الرحلات المغرب الحديث، شيبا وشبابا، يمينا ويسارا، وشاهدته في جولاتي رغم أنها كانت محدودة، أشياء كثيرة انتزعت إعجابي لأنها جزء من حضارتي ووطني الأكبر. "[1]وقد وصف فيها شوارعها وبنايتها ومطاراتها ومراكزها الثقافية وحتى شاطئها وأضرحتها وكل ما كان يصادفه في مسيرته معبرا عن إعجابه بها، كما أكثر في وصف أهلها من أصحابه القدامى ومعارفه وكل من يلتقي بهم واجتمع بهم سواء في المراكز الثقافية أو المكتبات، حتى في منازلهم أثناء تنقلاتهم المختلفة في المغرب شاكرا كل من ساعده في بحثه عن تاريخ الجزائر الثقافي معترفا بجميلهم وفضلهم وما قدموه للثقافة العربية كعباس الجراري والدكتور عبد الكريم(المنوني والكتاني).

وكذلك كانت متميزة بالفوائد مليئة بالفوائد وفيها من المفارقات ولاسيما فيما يتعلق بالأسعار وما شابهها وما يستثير ابتسامات المغربيين والجزائريين حيث قال :" من أجل هذا عزمت على تحقيق أمنيتي بشم هواء المغربي والتزود من مخططاته الكتابية. "

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق،ص204 - 205

وكما يقول " والسفر بالنسبة لي كالماء الهواء، ولو أنقذت على سنة دون أن أتنفس هواء بلد آخر لأحسست بالاختناق حتى وطني لأنه يفتقد نقاوة الهواء وعذوبة الماء، ولكن لأن تغير الهواء في حد ذاته يصقل الذاكرة ويجدد العاطفة ويبعث على الفضول الذي هو أساس المعرفة، ويحقق خمس فوائد كان الشاعر العربي قد اختصرها في قوله :

تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد[1]

وقد استغرقت الرحلة على طائرة البونيغ التونسية، بين مطار الدار البيضاء بالجزائر ومطار النواصر بالمغرب ساعة وربع وكانت الطائرة قد حلقت سحب كثيفة أخذت في الانقشاع كلما توغلنا في اتجاه المغرب وكانت تطير بمحاذاة البحر ثم حوالي منتصف الطريق انحرفت إلى اليسار وتعمقت في المناطق الداخلة بالمغرب وكانت الساعة تشير إلى الساعة السادسة وربع، عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ في الهبوط بمطار النواصر وشعرت عندئذ أن الطائرة كانت حمامة سلام ووحدة بين الأقطار الثلاثة فقد تجمع فيها الجزائريين والمغاربة والتونسيين واندمجت فيها طبائعهم المتكاملة : لطائفة التونسي، وإنسانية الجزائري، وشهامة المغربي.[2]

IV. دوافع رحلتنا إلى المغرب :

1. دوافع سياسية وثقافية :

وهذا الدافع غالبا في الترحال على غيرها من الدوافع الأخرى، خاصة في العصر الحديث كحب التنقل والاكتشاف وتغيير المكان والأجواء لأبي قاسم سعد

[1] د. أبو قاسم سعد الله، مرجع سابق ، ص 205

[2] مرجع نفسه ، ص 206

الله كان له تأمل في جمال طبيعة المغرب والتعرف على المسالك والبائع وإثارة طعامهم ولباسهم والكثير من العادات والتقاليد لأهل المغرب، وأيضا تحدث حول زخرفة منازلهم والزخرفة الأصلية للمغرب.

ويقول أيضا " وقد أتاح بعضهم التعرف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي والاجتماعي."[1]

2. دوافع علمية:

كان له هدف في البحث في المكتبات العربية من أعلى الطراز في الدار البيضاء " حيث توجد أحدث الكتب المغربية واللبنانية والمصرية بمكتبات العربية. "[2]

وأيضا شجع حركة التعريب بشكل واضح حيث قال " وتساند هذا التيار تقاليد الحضارية العريقة، والعائلات الأثرية كانت وما تزال تلعب دورا بارزا في خدمة الثقافة العربية الإسلامية ونخبة المتوثبة تلقت ثقافتها في المغرب أوفى المشرق وتقف إلى جانب التعريب كمطلب وطني. [3]

وكما قال أيضا كنت حريصا أثناء إقامة بالمغرب على توفير كل وقت للبحث الذي جئت من أجله.

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 114

[2] المرجع نفسه ،ص 222

[3] المرجع نفسه ،ص 230

2/ خصائص السّرد في رحلتي إلى المغرب

1. تعريف السّرد.

أ- لغــة:

تعددت المعاني اللغوية لمصطلح (السرد) في معاجم اللغة العربية ومن هذه المعاني :"سرد الحديث ونحوه، سرده سردا :تابعه، سرد الشيء سردا. المسرد : اللسان، وقيل : المخصف وما يخرز به."[1]

فسّر بهذا المفهوم يعني الموالات وتتابع الحديث، وعرف أيضا "سرد الحديث والقراءة، تبعهما وأجاد سياقها ". [2] والمراد أن السرد هو جوهر سياق الحديث والقراءة وتتابعها.

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن معظم المعاجم العربية قد اتفقت في معنى مصطلح السرد حيث أعطت معنى الفعل (سرد) التتابع وإجادة الحديث والسياق والقراءة.

وأن السرد ظاهرة عامة في كل عمل أدبي تشمل الرواية والقصة والرحلة.

---

[1] صالح العلي الصالح ، أمينة شيخ سليمان الأحمد المعجم الصافي في اللغة العربية ، (د.ت)، (د.ط)، ص252

[2] جبور عبد النور . المعجم الأدبي ، مادة (س.ر.د) ،دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1989م، ص139

ب-اصطلاحا :

السرد هو : المصطلح العام الذي يشمل قص حدث أو أحداث، أو خبر أو أخبار، سواء كان ذلك من صميم حقيقة أم ابتكار الخيال[1]، كما أن " السرد أو القص هو الفعل الذي يقوم به الراوي الذي ينتج القصة وه وفي الحقيقي أو الخيالي ثمرته الخطاب."[2]

فالعملية هنا إنتاجية تنعقد فيها العلاقة بين الراوي والمروي له لتنتج الخطاب.

أما سعيد يقطين فيعرفه في كتاب - الكلام والخبر مقدمة السرد العربي- كما يلي " لا حدود له يتسع ليشمل الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية "، ويصرح رولان بارت قائلا: " يمكن أن يؤدى الحكي بواسطة الصورة ثابتة أو متحركة وبواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد أنه حاضر في الأسطورة والخرافة والحكاية والقصة..."[3]

ويمكننا تقديم تعريف وجيز ومبسط له فه وعرض سلسلة أحداث متتابعة أو أخبار واقعية أو خيالية بواسطة اللغة المنطوقة شفوية كانت أو مكتوبة

[1] أحمد رحيم كريم الخطابي ، المصطلح السردي في النقد العربي الأدبي الحديث ، دار صفاء ، دار صادق للثقافة ، ط1، 2012، ص72

[2] لطيف زيتوني ، معجم المصطلحات ، نقد الرواية ، دار النهار للنشر ، لبنان ،ط1، 2002 ،ص105

[3] سعيد يقطين ، الكلام و خبر ، (مقدمة السرد العربي) ،ط1، المركز الثقافي ، بيروت 1997، ص 19.

2. **النظام السردي في نص " رحلتي** إلى **المغرب ".**

أ- **اليوميات:**

استخدم السارد (أب والقاسم سعد الله) في سرد رحلته إلى المغرب أسلوب اليوميات أو المذكرات مع عدم التركيز على دقائق الأحداث والإيجاز في العرض لكثير من الحالات بحجة عدم تخصيصه للرحلة كتابا مستقلا، إذ ضمناه في مؤلف متعدد الموضوعات ذات الصلة برحلاته وأعماله الأدبية الأخرى مع ذلك لا تخل والرحلة من المعلومات التاريخية والأدبية، ومواقف شخصية معبرة عن الآراء ومشاعر سيطرت على الرحالة إزاء رؤيته لبعض المشاهد. [1]

وفي هذا الصدد يقول سعد الله عن اتخاذ رحلته إلى المغرب صيغة اليوميات:" ذهبت إلى المغرب خلال الصيف الماضي [صيف 1973] وقد سجلت أثناء رحلتي كعادتي في كل بلد أزوره، يوميات صبت فيها مشاعري... ومشاهداتي وقراءاتي، صبا عفويا لا تنسيق فيه ولا تفنن."[2]

ويقول أيضا "عند عودتي إلى الجزائر نظرت في هذه اليوميات فوجدت فيهما ما يصلح لنشر وما لا يصلح للنشر إلا بعد انقضاء جيل من هذا. " [3]

وقد وركز سعد الله فيها على الأحداث والمثلثيات الثقافية والمتصلة بها، وقد ذكر بعض المخطوطات في رحلاته التي تهم بعض الباحثين في المغرب العربي والمشرق ذاكرا عاداتي وتقاليد كل المجتمع والبلد المنتمي إليه.

[1] مجلة جسور المعرفة ، المجلد6 ، العدد01، ص202

[2] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق،ص204.

[3] المرجع نفسه ،ص 204

ب-السرد السريع:

يظهر السرد السريع في رحلة سعد الله إلى المغرب حين يختصر في ذكر الأماكن ويحاول أن يعطيك صورة مكانية متكاملة على البيئة التي زارها في المغرب، من ذلك هذا السرد السريع المشوق لإحياء مدينة الرباط[1]:" في إحدى الجولات عرج بي صديقي الجراري [يقصد الدكتور عباس الجراري، الذي أصله في دمشق] بسيارته على الأحياء الهامة من مدينة الرباط، ومن هذه الأحياء. باب شالة والمنشور[حيث القصر الملكي]، وحي السيوسي حيث الحي الجامعي الجديد ومستشفى ابن سينا الضخم... وكان الصديق الجراري أثناء كل ذلك يصف لي معالم المدينة ويحدثني عن خصائص كل حي.[2]

وقد يمثل هذا السرد السريع المشوق قيمة أدبية معتبره في أدب الرحلات.

3. بنيـــة الشخصـــيات :

أوّلا : الشخصية الرئيسية والشخصيات الثانوية :

أ- تعريف الشخصية :

- **لغة :** جاء في تعريف لفظ (الشخصية) أو مادة(ش خ ص) في معجم لسان العرب على أنّها " جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر والجمع أشخاص، وشخوص... والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد... وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور،

[1] لخضر حشلافي و آخرون ، مرجع سابق ،ص382.

[2] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 219

والمراد به إثبات الذات، فاستعير لها لفظ الشخص."[1] وما نفهمه من هذا التعريف أن" كلمة الشخص تعني الإنسان".

- **اصطلاحا :**

الشخصية عنصر مهم وبنية من بنيات العمل السردي التي ربما تكون متخيلة أو واقعية، فهي التي تنهض بالحدث وتجعله ينم وعبر المسار السردي.

وهي التي تنشر الحركة في العمل السردي بدءا من أفعالها وأحاديثها التي يحدث بها التحول والتغيير بالأحداث. " [2]

والشخصية هي كائن، ولها أهمية بالغة في العمل الأدبي، فهي حلقة وصل بين جميع مكونات العمل السردي (اللغة، الزمن، المكان، الأحداث) إلى غير ذلك من العناصر.

ب- الشخصية المحورية:

إن الشخصية الرئيسية هي أساس سرد الأحداث " التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما ولكنها هي الشخصية المحورية [3]، إذن رحلة أبا القاسم إلى بلاد المغرب تتمركز شخصيتها الرئيسية في شخصيات الرحالة الراوي(سعد الله) حيث بنيت عليها الرحلة من خلال حضروها الكبير فيها وتسيره لأحداثها.

---

[1] ابن منظور ، مرجع سابق ،ص 49 – 50

[2] ينظر : رونال بارت و آخرون ، شعرية المسرود، تر : عدنان محمود محمد ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، (د.ط)،2010 م، ص104.

[3] صبيحة عودة لعرب ،غسان كتفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجد اللاوي ، الأردن ،2006، ط1، ص131.

وتبرز شخصية الراوي (سعد الله) فهي شخصية مهتمة بالبحث العلمي كما أنها اجتماعية مثقفة وقد اجتهد (أب وقاسم سعد الله)من خلال شخصيته أن يظهر تفاصيل رحلاته من نقطة الانطلاق مسارها إلى نقطة الوصول.

وما يؤكد على هذا هو زيارته المتعددة لمكتبات المغرب ولقاؤه بأساتذة وباحثين حيث" توجهت إلى الخزانة العامة العلمية(المكتبة الوطنية)بحثا للمخطوطات التي جئت من أجلها. ..كنت حريصا أثناء إقامتي بالمغرب على توفير كل وقت للبحث الذي جئت من أجله."[1]

وهذه الفقرة من مدونة رحلته تبين لنا شخصية الراوي الباحثة عن المخطوطات والتفتيش داخل المكتبات العامة وما يبرهن ذلك أيضا قوله : " ومنذ ذلك اليوم بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي وجدت منها هناك ثروة لا تقدر بثمن وكنت أعرف أسماء بعض هذه المخطوطات من قبل كما أعرف أرقامها في الخزانة ولكن بعضها قد اكتشفته بعد ممارسة البطاقات والتعرف على ما تحتويه المكتبة من ذخائره ونوادر."[2]

وكذلك نجد أبو القاسم ذا شخصية محبة للطبيعة وجمالها حيث تمتع في أحياء ومناطق المغرب ويبين هذا في قوله " وكان القمر على يمني طول الطريق يؤنسني بتألقه وكأنه يتحدي جميع الأضواء الذين نمر بها باقيا على تقاليده شيخ النجوم ورفيقي العاشقين. " وكذلك شخصية سعد الله اجتماعية وذلك لوصفه أحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية وطبائع عيشهم ونلمس هذا في قوله "

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص215.

[2] المرجع نفسه، ص215.

ومررنا بخانات عتيقة يسمونها التربيعية حيث كان يجلس المغاربة كما في العهود السالفة يشربون القهوة والشاي ويلعبون الورق. .."[1]

ج- الشخصيات الثانوية :

إن تعدد الشخصيات في الرحلة أمر واقع لا يمكن تجاوزه أو تجاهله فهي شخصيات مكملة للشخصية الرئيسية لتساهم في توضيح المشاهد السرية بحيث تقوم هذه الشخصيات بدور تكميلها مشيا حيث يستند عليهما الكاتب كعوامل المساعد أو عوامل معيقة.[2]

ومن أهم الشخصيات الثانوية في رحلته إلى المغرب، شخصية عباس الجراري التي برزت بحضورها المكثف لأنها صاحبة الرحالة في مشواره العلمي والاستكشافي والذي ظهر كدور مهم في بيان الأحوال الاجتماعية والثقافية لسكان المغرب، ما أتاح له "التعرف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي والاجتماعي بل أنه بكرمه وعلمه سهل مهنتي من الأتعاب ". [3] ولم يبخل عليه بمديد العون والمساعدة في البحث العلمي وقت نلمس أن هناك علاقة وطيدة وقوية بين هذه الشخصية وسعد الله الرحال، ومما يثبت هذا التقارب بينهم قوله " وقد أبى إلى أن يدعوني حالا للغداء في منزله... وتناولنا الغذاء بمشاركة حرمه وأولاده الثلاثة"[4] وهذا ما دل على حبه الكبير له.

---

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ص246

[2] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي ، تقنيات و مفاهيم ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ،ط1، 2010 ،ص 57

[3] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 225

[4] مرجع نفسه، ص 218

أما الشخصية الموالية فهي شخصية (عبد الكريم كريم)، والتي كانت بينهم معرفة قديمة وهي شخصية ثقافية ولقد يعد عبد الكريم صديقا ومرشدا للرحالة في بيان الأماكن والعالم المختلفة في أنحاء بلاد المغرب حيث قال " لم يبخل علي الدكتور كريم بوقته وإمكانياته فقط تجول في حي السويقة المليء بالخضر".

ولم ينته دوره هنا فحسب بل تجاوزه إلى أن أوصى عليه القائمين على المكتبة العامة كما جاء في قوله الرحالة "لكن خدماته لي لم تنته عند ذلك الحد ففي صباح الغد حدثني "مولاي الطاهري " في المكتبة بأن الدكتور كريم هتف له من الوزارة وأوصاه بي خيرا"[1] كما ساعده في البحث عن المخطوطات والكتب الموجودة في مكتبات المغرب.

وهناك شخصيات أخرى لها دور إيجابيات في رحلته من بينها شخصية محمد إبراهيم الكتابي وهو الآخر تربطه معرفة قديمة به وهو عض وفعال في الخزانة العامة، وهو لا يختلف كثيرا عن شخصيات السابقة من حيث العلم والثقافة، فقد أهداه بعض من أعماله[2] نذكر منها :

- ✓ أبو عبد الله المناصف المجتهد المغربي فصله من مجلة (الباحث).
- ✓ العثور على الورقات الأخيرة من خلال البيان المغربي لابن عذاري المراكشي فصلة في مجلة (تطوان).

وكذلك من بينها شخصيات عمال المكتبات مثال ذلك شخصية (الشيخ مولاي الطاهر) العامة بالخزانة العامة (المكتبة الوطنية) قسم المخطوطات.

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص 222.

[2] المرجع نفسه، ص 209

ومن الشخصيات أيضا الأساتذة الباحثين الذين جاؤوا من أجل بحثهم، منهم (الآنسة داودي)، وأيضا (عبد المالك مرتاض) رئيس قسم اللغة العربية والأدب بوهران.[1]

ولهذه الشخصية دورا مهما فقد أسهمت في مجلس سرد الرحلي وأثارت في مسار الأحداث ومشاهد مما جعل الرحلة في صورة صادقة واقعية عن الحياة ومجالاتها الثقافية والاجتماعية. والفائدة من ذلك ذكر هذه الشخصيات المحورية والثانوية هي تعزيز البعد العلمي لهذه المرحلة.

د- لغة السّرد الرّحلي (بنية الوصف) :

يحتل الوصف مكانة كبيرة في سرد الرحلي، إذ أنه يعد تصويرا وتجسيدا للأحداث في مكان ما، في الوصف إذن هو تصوير انطباع حسي والدلالة على مزج نفسي كما يحاول الواصف أن يجعل تلك الانطباعات الحسية أو الحالات الوجدانية مماثلة عند القارئ من ناحية حيويتها ومشاهدتها للواقع " [2]. لذلك نجد أبا القاسم سعد الله يسعى إلى تصوير كل ما وقعت عليه عيناه من المشاهدة مازجا تلك التصورات والأوصاف بمشاعره وعواطفه وهذا ما يحقق المتعة والتشويق في نفس المتلقي وقد وظف الراوي وصفه لشخصيات الكتب في رحلته إلى المغرب.

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ،ص 212

[2] إبراهيم لجراوي ، تحليل الخطاب الأدبي ، دار الآفاق ، الجزائر 1999، ط1 ، ص105

- **نماذج عن الوصف في رحلة سعد الله**

(رحلتي إلى المغرب العربي).

1. وصف الشخصيات :

من الشخصيات التي وصفها سعد الله، الشخصيات التي راءاها والتقى بها أو جلس معها ؛ إذ وصفها وصفا خارجيا ومحليا ؛أي معنويا فاعتنى بالمستوى التعليمي والثقافي والاجتماعي سواء على المستوى الداخلي أو صفات المعنويات التي تتعلق بالأخلاق وغيرها من التصرفات أو ما يرتبط بالصورة الخارجية لشخصية؛ أي المظهر كاللون وطول والملابس... وهذا ما نجده في رحلة سعد الله رسم الصورة الخارجية للشخصية بكل مكوناتها الهندام، الهيئة، العلامات الخصوصية."[1]

وأوّل هذا الوصف هو وصفه لامرأتين كانتا في سيارة الأجرة التي نقلته من الدار البيضاء إلى الرباط يقول" وكانت إحدى المرأتين بدينة تلبس جلابة مغربية وتجلس في المقعد الأمامي أما المرأة الأخرى فقد كانت تلبس ثوبا أوروبيا وتجلس في المقعد الخلفي "[2]، إذن هنا نلمس الوصف الخارجي.

ونجده قد وصف الأستاذ عبد الله عنان المؤرخ المصري يقول "وأثناء وجودي في خزانة العامة دخل شيخ طاغ في السن على رأسه قبعة رمادية ويميل إلى القصر وعليه سم والمصريين أنه الأستاذ عبد الله عن المؤرخ المصري".

وهنا نرى الكاتب الراوي يصف وصفا ماديا خارجيا مما يجعل القارئ يتصور الشخصية وكأنه رآها من قبل.

---

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 207.

[2] المرجع نفسه ، ص 218.

كما نجده مهتم بالوصف العلمي الثقافي لكل شخصية التقى بها مثل الأستاذ الذي التقى بهم من بينهم (عباس الجراري، وعبد الكريم كريم)، ومن بينهم كذلك (الأنسة داودي) قائلا : " ومن جزائريين الذين التقيت بهم في المكتبة خلال القرن الماضي وأوائل الحالي للنيل هذا الدكتوراه الدرجة الثانية من جامعة الجزائر."[1]

2. وصف الأماكن والمنشآة :

اهتم سعد الله بوصف الأماكن باعتبارها البنية الأساسية التي تبنى عليها عملية السرد، " ومن براعته في الوصف والتصوير الفني رسمه لضريح محمد الخامس في قوله : ما زالت للأعمال الجارية في ضريح محمد الخامس 1973 ولكن الجزء الذي انتهى منه يمثل الأعجوبة في الصفة والذوق والمهارة فه ويحتوي على فسيفساء نادرة، ورخام ملون، ونقوش مذهبة في الأسقف والجوانب العليا، وقد حفرت آيات من القرآن الكريم على مدار الفئة الخضراء والصفراء التي يزيدها معان الكهرباء جلالا وجمالا."[2]

وكذلك وصف الدار البيضاء على أنها " مدينة تجارية بكل معنى الكلمة. ففيها الشركات والبنوك المغربية والأجنبية بأعداد ضخمة، وما زالت بعض أسماء شوارعها لم تتغير كما تغيرت الأسماء وشوارع مدينة الرباط ". .. " وفيها مركز تجاري جزائري إلى جانب مقر شركة الخطوط الجوية الجزائرية"[3].

[1] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ،ص 218

[2] لخضر حشلاوي و آخرون ، مرجع سابق ، ص 380 – 381.

[3] أبو قاسم سعد الله ، ص 222

ومن المباني التي وصفها كذلك بيت(آل الصائغ)أصهار صديقي الجراري يقول فيه " وهو عبارة عن مغني ويقصد (فيلا) لضخمة من طابقين، وفي القاعة حشايا جلدية ناعمة، وقد زينت الجدران بالزليج الملون المشكل بمختلف الأشكال الهندسية وفيها أجزاء منقوشة بنقوش مغربية. "[1]

وكل هذه الصفات تدل على الرفاهية التي يتمتع بها المغربي في حياته الاجتماعية والثقافية.

3. وصف الكتب :

ومن المعلوم أن أبا القاسم سعد الله جاء للمغرب من أجل العلم والبحث عن المخطوطات والكتب كما وصفها في مختلف المكتبات وهناك من الكتب من أهديت له من طرف رجال العلم مثل (الدكتور عباس الجراري)يقول : " وما أهداني كتابه عن {الزجل من المغرب} القصيدة التي نال بها شهادة الدكتوراه في الآداب من مصر وطبعت سنة 1971 في 715 صفحة، ثم تنالت على كتبه وأبحاثه من وحي التراث وموشحات الغربية." [2] وهذا يؤكد اهتمامه بالعلم بأصحاب العلم.

[1] ، أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 223

[2] المرجع نفسه ، ص224

4. البنية الزمانية في رحلة أبي القاسم سعد الله إلى المغرب :

أوّلا :البنية الزمانية :

أ- مفهوم الزمان :

- **لغة** :

جاء في لسان العرب لابن منظور من مادة (ز.م. ن) الزمن والزمان : اسم لقليل الوقت وكثيرة.وفي المحكم الزمن والزمان العصر، والجمع أزمن، وأزمات وأزمنة."[1]

ومعنى هذا أن الزمن في اللغة ما دل على الوقت أن قل أو كثر فالدقيقة زمن، والساعة زمن، والشهر، زمن إلى غير ذلك.

- **اصطلاحا :**

تتعدد وتختلف دلالات الزمن فكل يعرفه حسب اختصاصه لكن ما يهمنا هو الزمن من المنظور السردي إذن يعرفه الأستاذ أيمن بكر فيقول: " بأنه مجموعة العلاقات الزمنية (السرعة، الترتيب، والمسافة الزمنية) بين المواقف والأحداث المحكية، وعملية حكايتها بين القصة والخطاب بين المحكي وعملية الحكاية" [2] أو بمفهوم آخر وأكثر دقة وسهولة هو "الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأعداد المقدمة زمن القصة زمن المروي والفترة أو الفترات التي يستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث(زمن الخطاب، زمن السرد)" [3]والزمن هنا هو

---

[1] ابن منظور ، مرجع سابق ، ص 1867

[2] أيمن بكر ، السرد في مقامات الهمذاني ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، (د.ط)، ص 52 .

[3] جيرار برنس ، قاموس السرديات ، تر : السيد إمام ، ميريت للنشر و توزيع ، القاهرة ،ط1، 2003، ص 101.

زمن الرحلة وينقسم إلى ثلاثة أزمنة : زمن الانطلاق، وزمن المسير، وزمن العودة.

وهذا ما تظهره رحلة أبي القاسم سعد الله حيث يبدوا واضحا، فقد وظف الزمن منه انطلاقة من بلده إلى البلاد التي توجه إليها حيث قال: "زرت المغرب لأول مرة خلال الصيف الماضي من 29 يولي و19 أغسطس، 1973 وقد استغرقت الرحلة على طائرة البونيغ التونسية بين مطار الدار البيضاء بالجزائر ومطار النواصر بالمغرب ساعة وربع."[1]

ونلاحظ أن المدة التي مكثها سعد الله في المغرب هي 23 تماما حسب التاريخ المصرح به.

والمتأمل في هذه الرحلة يرى أن الكاتب حاول أن يقدم لنا مدة مسارات هذه الرحلة بالوقت المستغرق للوصول من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول ويمكن أن نلخص هذه المسائل التي احتوتها الرحلة بهذا الشكل :

[1] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص222

مسار الرحلة			
مكان الانطلاق	مكان الوصول	الوسيلة المستعملة	الزمن المستغرق
مطار الدار البيضاء (الجزائر)	مطار نواصر (المغرب)	الطائرة	ساعة وربع
مطار النواصر (المغرب)	مدينة الدار البيضاء	سيارة عمومية	/
مدينة الدار البيضاء	الرباط	سيارة أجرة	ساعة ونصف
الرباط	مدينة سلا	الحافلة	عشر دقائق
مدينة سلا	الرباط	/	/

يظهر الجدول مجموع مسارات رحلة أبي سعد انطلاقا من مطار الجزائر وصولا إلى المغرب العربي، كما يظهر تنقلاته داخل هذا البلد الشقيق. [1]

ثانيا :البنية المكانية :

أ- تعريف مكان :

يشكل المكان جزء هاما في بناء الرحلة؛ فقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن مكان والمكانة واحد... والمكان الموضع والجمع وأمكنة " [2] والمكان يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف

[1] بلعربي مجاهد ، أدب الرحلة عند أبي قاسم سعد الله ، أطروحة دكتوراه ، إشراف د.ميلود عبيد منقور ، جامعة مستغانم كلية الأدب العربي و الفنون ،2023،ص 199

[2] ابن منظور ، مرجع سابق ، ص 412.

موجود العمل كله" [1]. والفضاء هو ما ضم جميع الأمثلة والمواقف والأحداث، وهذا ما يدل على أهميته وعلى أنه عنصر مركزي في تشكيل العمل السردي.

فللمكان علاقة بالزمن فكل منها يكمل الآخر ولا يستغنى عنه في مضمونه الرحلة.

وكما نعلم أن رحلة انتقال من مكان لآخر ويتكون مكان رحلة من مكان الانطلاق ومكان الوصول.

مكان الانطلاق : هو الأساس الذي يكون نقطة البداية والرجوع النهائي وعتبة الانتقال إلى أمكنة أخرى، إذ يعتبر الانطلاق البداية الأولى للحال فه ويبدأ منه وينتهي إليه. ونرى هذا التعبير في رحلة أبي القاسم سعد الله في قوله : " وكانت طائرة قد حلقت بنا فوق سحب كثيفة... ثم حولي منتصف الطريق انحرفت إلى اليسار وتعمقت في المناطق الداخلية."[2] بالمغرب وهذه الرحلة يؤطرها فعناء كبير هو بلد الجزائر الذي يندرج تحته فضاء اخرتم ذكره في الرحلة هو مدينة الدار البيضاء وكذلك يندرج تحت مكان وه والمطار.

وما يبين لنا مكان الانطلاق هو ما استعان به سعد الله في مقارنه بين الجزائر والرباط وكمثال على ذلك في قوله : " كان الطقس في الرباط أكثر لطفا من ج والعاصمة الجزائر الرطب.[3]

مكان الوصول : وه والبلد التي توجه إليه الكاتب إلا وه والمغرب وذلك من أجل البحث عن المادة العلمية لإكمال بحثه وهذا هو هدفه الأساسي من رحلته

[1] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية)، ص 33

[2] أبو قاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 204.

[3] مرجع نفسه ،ص 208

هذه، بحيث صرح به في كثير من المواقف وقد زار عده أماكن من أجل البحث ففي هذه الزيارة كان هدفه البحث عن كتاب {تاريخ الجزائر الثقافي }، وهنا قدم لنا العديد من الأماكن والمدن كرباط والدار البيضاء، واصفا بذلك مكاتبها ومرافقها العمومية وأسواقها التجارية ومن بين أهم هذه المكتبات المكتبة الوطنية فقال " توجهت إلى الخزانة العامة بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها وكانت الخزانة العامة تقع بالقرب من كلية الأدب جامعة محمد الخامس إلى جانب قسم المطبوعة يوجد قسم الوثائق" [1]، وهذا يبين لنا أنه مهتم بالمناطق الأثرية والمكتبات وهذا ما نلمسه في قوله : " اهتممت بشيئين الأول التعرف على الأماكن الأثرية. ..أما الشيء الثاني فهو المكتبات."[2]

وكذلك توقف على بعض المدارس والأحياء مثل مدرسه الناصرية و(جامع سيدي مبارك) بالمقابل أماكن العلمية يوجد أماكن النزهة والتجوال، بحيث أنه قسم وقته بين البحث والتجول والنزهة في ربوع هذا البلد العريق ومن بين هذه الأحداث أماكن الأحياء الشعبية، والشوارع مثل حي السويقة، وكذلك يوجد أماكن أخرى كما أماكن الإقامة مثل الفنادق، ودر الشباب، ودور المبيت. وأماكن نقل المسافرين مثل المطارات وميناء السفن والبواخر، ومحطات القطار. ..وهكذا.

ويمكن لنا وضع مخطط لبعض الأماكن الكبرى التي ذكر فيها التي وفق التصور التالي :

[1] أبو قاسم سعد الله، مرجع سابق ص 209.

[2] المرجع نفسه ،ص 249

(تونس)...(الجزائر). ..الدار البيضاء(المغرب)الرباط... الدار البيضاء... سلا

محطة الانطلاق. .. الذهاب... العبور... الوصول. ..... التجوال[1]

[1] مجلة جسور المعرفة ، المجلد 06، العدد 01، ص 202

خـــــــــــاتمة

أحمد الله وأشكره على تمكني من إتمام هذا العمل، فمن خلال العناصر التي تطرقت إليها في أدب الرحلة جعلتني أكتشف ما منحني أهمية هذا الموضوع وقيمته في الأدب العربي، وعليه فإني توصلت إلى أهم النتائج المستخلصة من خلال دراستي لفن أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله ومن بينها ما يلي :

- ❖ تصنف الرحلة على أنها فن من الفنون الأدبية، يصور فيه الرحالة ما شاهده في الحياة، ومما أشار له من أحداث أثناء رحلته والتصوير المباشر.
- ❖ أدب الرحلة أدب ممتع وشيق، يشمل فنونا وأغراضا شتى، وفيه كنوز معرفية غزيرة، وه ومسجل حقيقي بمختلف المعلومات.
- ❖ يعد أبي القاسم سعد الله مؤرخا وأدبيا يمتاز بالحس الموضوعي والإحساس الفني الذي يتجلى في كتاباته العلمية الدقيقة.
- ❖ تعد رحلات أبي القاسم سعد الله رحلات ممتعة جدا في وصفه للبلدان العربية التي يسافر إليها من بينها المغرب ومدتها، ووصف كل ما شاهده من أحوال هذه البلاد التي زارها وما فيها من كنوز وآثار كالأماكن والمكتبات التي زارها، كما صوّر المدن التي زارها فيها أثناء رحلته.
- ❖ لقد عبّر رحلته إلى المغرب عن شخصية الجزائري الطموح المخبر للوحدة بين أبناء الأمة العربية.
- ❖ يتميز أدب الرحلة عند أبي قاسم سعد الله بدقة الملاحظة، واستيعاب المشهد الموصوف، بالإضافة إلى كثافة وشساعة الأسلوب الأدبي في تسجيل الوقائع والأحداث.
- ❖ لقد اهتم سعد الله في رحلته إلى المغرب بالبحث عن المخطوطات والكتب وجمع المعلومات من أجل إكمال بحثه المتعلق بالتاريخ الجزائري الثقافي.
- ❖ يرتكز السرد الرحلي على بنية الزمان والمكان والشخصيات والأحداث.
- ❖ تميزت رحلة أبي قاسم سعد الله بالقيم الثّقافية والفكرية والاجتماعية.

وفي الختام أرج وأن أكون قد وفقت في هذا البحث ولو بالشيء القليل في إعطاء لمحة وجيزة عن أدب الرحلة لأبي القاسم سعد الله، وأتمنى أن تكون نقطة نهاية بحثي بداية لبحوث ودراسات أخرى، متمنية من الله تعالى التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين وصلّ الهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق

الملحق رقم 01 :

البطاقة الفنية للكتاب :

❖ **معلومات الكتاب** :

1. عنوان الكتاب : تجارب في الأدب والرحلة .
2. المؤلف : أبي القاسم سعد الله.
3. دار النشر : المؤسسة الوطنية للكتاب 1983
4. بلد النشر :الجزائر.
5. عدد الصفحات : 319 صفحة.

❖ **مضمون الكتاب** :

- يضم هذا الكتاب مجموعة من التجارب في الأدب، والنقد، والأدب، والقصة، والشعر، وأراء في الحركة الأدبية في الجزائر، والمغرب العربي ثم الوطن العربي على العموم.
- يحتوي هذا الكتاب على أربعة أقسام وملحق :

1. أبحاث ونصوص من تاريخ الأدب الجزائري، والثورة الجزائرية في الأدب العربي.
2. مراجعات في الكتب والأطروحات في الأدب.
3. مناقشات لبعض القضايا الفكرية والأدبية.
4. رحلات شخصية ومترجمة، ومن بين هذه الرحلات رحلته إلى المغرب والجزيرة العربية، وزيارة سيدي ناجي، بالإضافة كذلك رحلة أحد الألمان إلى عناية مترجمة بالإنجليزية.

الملحق رقم 2 :

الدكتور أبو القاسم سَعْد الله
تجارب في الأدب والرّحلة
المؤسسة الوطنية للكتاب

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أوّلا : المصادر :

1 تجارب في الأدب والرحلة لأبي القاسم سعد الله.

ثانيا : المراجع.

2 ابن منظور الأفريقي، لسان العرب.
3 أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة
4 الفيروز أبادي، القاموس المحيط.
5 أبو بخاري صحيح بخاري، دار صادر بيروت، ط1، 1425 /2004، مج.
6 أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
7 أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي، ج2 (1500-1830) ط1، المغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
8 أبو قاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
9 أبو منصور المتعالي، زاد سمر الملوك في سفره ومدحه وذمه ومحاسن الأخلاق فيه، تح : زمزي بلعبلي وجلال الأزقة، المعهد الألباني للأبحاث الشريفة، بيروت، 2011.
10 إبراهيم لجراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق، الجزائر، 1999، ط1
11 أحمد أبا الصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم من القرن 7ه، حتى نهاية القرن 13ه، ج2.

12 أعمال الملتقى الدولي، أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا، يومي 14/13 ديسمبر 2015 بالقطب الجامعي، الشطر الوادي

13 الإمام الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2013

14 امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمان المصطفاوي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2004.

15 أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذان، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، د.ط، 1997

16 بلعربي مجاهد، أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله، أطروحة دكتوراه، إشراف د.ميلود، عبيد منقور – جامعة مستغانم، كلية الأدب العربي والفنون، 2023، ص 199

17 بوقرطة الطيب، أدب الرحلة في محوري التموقع والتوقع مع منظور النقد الأدبي قراءة في إشكاليات وآفاق، مجلة تاريخ العلوم، ع6.

18 .فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002

19 جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2012

20 جيرار برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميربث للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

21 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المركز الوطني لثقافة وفنون وآداب – الكويت 1989.

22 حسين نصار، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر بونجمان، 1991، ط1.

23 حفيظة زين، النقد الأدبي في آثار أبي قاسم سعد الله، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث المعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربي، قسنطينة الجزائر، 2015.

24 خير الدّين شترة، المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونيسية.

25 د.سيد حامد النساج، منشورات كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب، د.ط، 2001.

26 رونال بارت وآخرون، شعرية المسرود / تر : عدنان محمود محمد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق (د.ط)، 2010.

27 زوهري وليد، أدب الرحلة الجزائرين إلى مكة ومدينة، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع1، 2012

28 سعيد بن سعيد العلوي، أوروبا في امرأة الرحلة صورة الآخر في أدب المغربية المعاصرة ، مطبعة نجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1955.

29 سمير أنساعد (الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري) من القرن 11 إلى 13 الهجريين، الوكالة الإفريقية، الإنتاج السنمائي والثقافي، الجزائر، ط1، 2011.

30 سميرة أنساعد، في مشرق الأدب الجزائري، دار النشأة التطور والبنية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د.ط.

31 سيد حامد النساج، منشورات كتب الرحلة (قديما وحديثا) مكتبة غريب، د.ط.

32 شريط أحمد وآخرون، معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، كلية الآداب والعلوم الإنساني والاجتماعية، مخبر الأدب المقارن والعلم، جامعة باجي مختار، عنابة.

33 شعيب حليفي، في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،
34 شعيب حنيفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة - خطاب المتخيل، رؤية للنشر وتوزيع، القاهرة، 2006..
35 شعيب حنيفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر وتوزيع، القاهرة، ط1، (د.ت)،
36 شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، (د.ت).
37 صبيحة عودة رعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجد اللاوي، الأردن 2006، ط1
38 صلاح الدين علي الشام، الرحلة عبد الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، ط2، 1999.
39 عبد الرحمان الملك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة للطباعة والتوزيع، لبنان، ط2، 1982.
40 عبد الرحمان مودن، الرحلة في الأدب المغربي (النص، النوع، السياق)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
41 عبد الرزاق حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمات لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق، أبو قاسم سعد الله، الطباعة الشعبية للجيش – الجزائر، 2017.
42 عمر بن قتيبة، رحلات ورحالون في النشر العربي الجزائري الحديث، ط2، 2012، دار الأمة، الجزائر، 2009.
43 عيسى بختي، أدب الرحلة الجزائري الحديث – مكونات السرد، ، دار الهومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ط1.
44 فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إيميل يعقوب، دار الجيل، بيروت، 1999، ط1.

45 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة.

46 لخضر حشلافي، الرحلة المغربية –قضايا وظواهر -، دار الضحى للنشر والاشعار، الجزائر، ط1، 2017.

47 مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان – بيروت، 1948.

48 مجلة جسور المعرفة، المجلد 6، ع1.

49 محمد بوعزة، تحليل النص الرسد، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم وناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010

50 محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

51 محمد ناصر، الشعر العربي الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2006

52 المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، موج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تقديم محمد السودي، موقع للنشر، (د.ط)، الجزائر 1989.

53 الموسوعة العربية العالمية، ج11.

54 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصدرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1995.

55 نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن تاسع الهجري) دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006.

فهرس المحتويات

العنوان	الصّفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدّمة	أ - ج
الفصل الأوّل: الرحلة العربية وأدب الرّحلات	**05**
المبحث الأوّل : الرحلة (مفهومها، دوافعها، أنواعها)	**07**
أوّلا : مفهوم الرحلة من الواقعي إلى الجمالي الفني	**07**
أ- لغة	**07**
ب-اصطلاحا	**08**
ثانيا : **لفظ الرحلة ومعناها**	**12**
أ- في القرآن الكريم	**12**
ب- في السنة النبوية الشريفة	**16**
ت- في الشعر العربي	**17**
ثالثا : دوافع الرحلة الواقعية والجمالية	**18**
رابعا : أنواع الرحلة.	**22**
خامسا : أسباب تدوين الرحلة	**24**
المبحث الثاني : أدب الرحلة (التعريف والنشأة)	**27**
أوّلا : مفهوم أدب الرحلة	**27**
ثانيا : نشأته وتطوره	**31**
أ- أدب الرحلة عند العرب	**31**
ب-أدب الرحلة عند الجزائريين	**34**
ثالثا :قيم أدب الرحلة	**38**

رابعا :خصائص النص السردي الرحلي	**40**
خامسا : أشهر الرحالة والرحلات في الأدب.	**44**
الفصل الثاني :دراسة من الواقعي إلى الفني الجمالي في رحلة أبي القاسم سعد الله (رحلتي إلى المغرب)	**45**
أوّلا : أبي قاسم سعد الله الرحلة والرحالة	**47**
1. التعريف بالرحالة أبو قاسم سعد الله	**47**
2. رحلات أبي قاسم سعد الله	**53**
3. ملخص رحلة أبي قاسم سعد الله إلى المغرب	**54**
4. دوافع رحلته إلى المغرب	**55**
ثانيا : خصائص السرد في رحلتي إلى المغرب	**57**
1. تعريف السرد	**57**
أ- لغة	**57**
ب- اصطلاحا	**58**
2. النظام السردي في نص (رحلتي إلى المغرب)	**59**
أ- اليوميات	**59**
ب- السرد السريع	**60**
3. بنية الشخصيات	**60**
- الشخصية المحورية والشخصية الثانوية	**60**
4. **لغة السرد الرحلي (بنية الوصف)**	**65**
أ- البنية الزماكنية	**66**
ب-البنية الزمانية	**69**
ث-البنية المكانية	**71**

خاتمة	75
ملاحق	78
قائمة المصادر والمراجع	81
فهرس المحتويات	87
الملخص	91

الملخص

ملخص :

يعالج موضوع بحثي فنا مهما من الفنون الأدبية، وهو أدب الرحلة، وخصصت بالدراسة رحلة المؤرخ والأديب أبي القاسم سعد الله، الذي كانت له إسهامات في هذا الجانب من الأدب والتي جمعها في كتابه " تجارب في الأدب والرحلة "، والدراسة ركزت على رحلته إلى المغرب حيث تناولت فيها عملا وتحليلا لشخصيات والزمان والمكان وطريقة الوصف سعيا لمعرفة كيفية اشتغال المؤلف على عنصر الزمن وطرق رصده لأمكنة والشخصيات وسرده للأحداث.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، أبي قاسم سعد الله، السّرد الرّحلي.

Summary :

The subject of my research deals with an important literary art, which is travel literature. The study devoted the study to the journey of the historian and writer Abu al-Qasim Saadallah. He had contributions to this aspect of literature, which he collected in his book “Experiences in Literature and the Journey.” The study focused on his trip to Morocco, where it dealt with There is work in it An analysis of the characters, time, place, and method of description in an effort to know how the author works on the element of time and ways to monitor the locations of the characters and his narration of events.

keywords: travel literature, Ab Qasim shaad Allah, travel narrative.